

الترباط التكاملى بين الحكمة والشخوص فى قصة

يوسف (عليه السلام) فى القرآن الكريم

فكر وإبداع

ترجمة إلى اللغة العربية

الترباط التكاملى بين الحكمة والشخوص

فى قصة يوسف (عليه السلام)

فى القرآن الكريم

ترجمة إلى اللغة العربية

لبحث (منشور) باللغة الإنجليزية

بغنوان

The Integral Interconnection between Plot
and Characters

In

The Story of Yusuf (pbuh) in the Holy Qur'an

د/ مها صديق موسى (*)

هذا بحث باللغة الإنجليزية للدكتورة/ سهير الزيني، أستاذ الأدب الإنجليزي المساعد، نشرته فى مجلة العقيق، وهى مجلة أدبية ثقافية فصلية محكمة تصدر عن نادي المدينة المنورة بالمملكة العربية السعودية، وقد نُشر هذا البحث فى المجلد الثالث والعشرين، العدد الخامس والأربعين والسادس والأربعين بتاريخ ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.

ولاشك أن الترجمة جهد إبداعي خلاق يؤدي إلى تقريب الثقافات والتواصل البشري، وهى علم وفن وذوق، ولها عالمها الخاص ومجالها الخاص، وهى حقل

(*) أستاذ مساعد بقسم اللغة الإنجليزية - جامعة طيبة - المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية

من أهم حقول المعرفة التي لها جذورها الضاربة في التاريخ، كما أن لها تشعباتها وتخصصاتها الدقيقة أيضاً. أما المترجم فهو يجلس في كل لحظة أمام اختيار دقيق، ويدرك مع مرور الزمن أن الترجمة ليست نقل معنى من لغة إلى أخرى بقدر ما هي فن وذوق. ولذلك لابد أن يستخدم المترجم تقنيات وأساليب ومهارات لغوية وثقافية وعلمية وفكرية لنقل الفكرة أو المعلومة بمهارة وإبداع وحس لغوي رفيع للغة القارئ المستهدف.

وإن كانت مهمة الترجمة بشكل عام هي تسهيل التواصل بين طرفين يتحدثان بلغة مختلفة لإتمام عملية التواصل بينهما فإن الترجمة الأدبية بالتحديد يقع على عاتقها القيام بدور الوسيط بين ثقافتين دون الاعتداء على جماليات التراكيب اللغوية والجمال الأدبية في اللغة الأصل، ومن هنا تكمن صعوبتها وأهميتها، حيث إن الأدب يكسب جماله من اللغة التي كُتِبَ بها. هذه الإشكالية لم تكن غائبة عن المعنيين بالترجمة الأدبية، لذا كانت الدعوات لتوافر صفات ومهارات معينة في المترجم الأدبي أمراً مهماً حفاظاً على جماليات اللغة في النص المترجم. ولعل مما زاد مهمتي صعوبة وخطورةً وتعقيداً أن ترجمتي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بأصول تفسيرية وثوابت دينية لا يجوز تجاوزها أو تحريفها شريعاً.

ولا شك أن ما تتعرض له أمتنا الإسلامية وديننا الحنيف من عداء سافر، وحقد مستحكم يقوده الأعداء والجهلاء على جميع الأصعدة وبكافة الأساليب يحتاج من كافة قطاعات الأمة الإسلامية دفْعاً ومدافعةً ونوداً عن حياض الدين فكراً، وجهداً، وطاقةً، ولن يتقاعس العلماء والباحثون عن ذلك أبداً. وهنا تكمن أهمية هذا البحث وترجمته فهو يمثل دعماً أدبياً و علمياً ودعواً يبين حقيقة الإسلام وصدق القرآن الكريم وجزالته وأبيه وبقته وعظمته. وكل ذلك دعوة إلى الله تعالى وذود عن حياض الدين الحنيف. ولا أنسى أن أنوه بأن هذا البحث قد حكمه وأجازه بابتداءً لجلاء ممن لهم باع طويل في هذا المجال.

(١)

شغلت الحكمة والشخوص مكاناً رئيسياً فى فن القصة منذ ظهور الأدب. إلا أن السؤال الذي كان موضع جدل لفترة طويلة من عمر الزمن هو أفضلية أي من هذين العنصرين على الآخر. فاحتلت الحكمة مكانة متقدمة على مكانة الشخصيات لدى الإغريق، حيث سيطر هذا الاعتقاد على معظم الفلاسفة والأدباء والمفكرين الإغريق الذين نهجوا نهج فيلسوفهم، أرسطو، الذي لا يرقى الشك إلى مكانته المتميزة كأحد أعظم الأدباء والنقاد الإغريق، فحنوا حنوه فى الاعتقاد بأن القصة المحكمة يميزها

أن ما يعترى الإنسانية من سعادة وشقاء يتخذ شكل الحدث، وأن الهدف الذي نحيا من أجله أساساً هو محاكاة لحدث وحياة وليس لشخوص. فالغاية هي الحدث وليس الصفات. إن الشخصيات تقدم لنا الصفات إلا أن سعادتنا وبؤسنا يكمنان فى الأحداث نفسها وتبعاً لذلك فإن ما يرمى إليه كتاب المسرحية ليس هو تصوير الشخص بل استخدام هذه الشخص ل تقديم الحدث.^١

واستمر تأثير هذا الاعتقاد على الأدباء والمفكرين الغربيين فى العصور التي تلت العصر الإغريقي. فهاهو ذا جون درايدن وهو أحد أبرز النقاد والأدباء الإنجليز فى نهاية القرن السابع عشر يعبر عن رأيه قائلاً :
إن الحكمة الموحدة هي أساس المسرحية. وبناء على ذلك فإن سلوكيات ودوافع الشخص فى أي عمل درامي لابد أن تكون ملائمة لعصرهم ونوعيتهم وكرامتهم والبلد الذي يعيشون فيه.

وحيث إن هذه الدوافع لابد أن تنشأ تلقائياً من الحدث الموحد الذي يُكوّن الحبكة، فإن الشخصيات ذاتها تتبع من الميول والدوافع التي تتطلبها الحبكة . وهذا ينطبق أيضاً على المواقف والتعليقات التي يجب أن تكون ملائمة للشخصيات والتي ينبثق منها الأسلوب الأدبي بشكل مناسب . وهكذا فإن ما لدينا هو بناء هرمي تمثل الحبكة قاعدته يليها عناصر المسرحية متعاقباً بعضها فوق بعض وصولاً إلى الطبقة العليا، وهي اللغة، وهذه الطبقة هي قمة الهرم.ⁱⁱ

وعلى الرغم من أن هذه الآراء قد تكون صحيحة فيما يخص الفن المسرحي الذي كان ماثلاً في ذهن كل من أرسطو ودرابن أثناء تعبيرهما عن معتقداتهما بهذا الخصوص ، إلا أن هذه الآراء تصبح بلا ريب موضع تساؤل إذا ما تم تطبيقها على الرواية . حيث يقول إ. م. فورستر:

تتميز الرواية بأن كاتبها يستطيع التحدث عن الشخصيات كما يتحدث من خلالها ، وهو يستطيع أيضاً أن يعطينا الفرصة لنستمع إليهم وهم يتحدثون إلى أنفسهم . فالخاصية التي تمكنه من التعامل مع النفس، وتجسيد ما يدور بداخلها من حوار، وما يكتنفها من أسرار تمنحه القدرة على الغوص بعمق، والتمحيص بوعي في ما هو قائم في اللاوعي. فالإنسان لا يتحدث بصدق تام حتى وهو يحاور نفسه ذاتها . حيث إن السعادة أو التأسف التي يشعر بها لا يمكن تفسير أسبابها تفسيراً جلياً واضحاً لا لبس فيه. فالروائي يستطيع أن يوضح كيف يتأثر الحدث مباشرة بما يدور سريعاً في اللاوعي؛ فهو ضليع في تحليل مكونات النفس الإنسانية، وأسرار الحياة البشرية. لذا يجب عدم حرمانه من هذه السمة المميزة لفنه .ⁱⁱⁱ

الترابط التكويني بين الحكمة والشخص في قصة

يوسف (عليه السلام) في القرآن الكريم

فكر وإبداع

ترجمة إلى اللغة العربية

هذه السمة تجعل الشخصية وليس الحكمة "القاعدة التي تتراص فوقها باقي طبقات البناء الهرمي".^{١٧} وهكذا فإنه يمكن القول أن الشخص احتلت مكانتها الرفيعة مع ظهور روايات كل من ريتشاردسن وفيلدنغ، الأمر الذي يدل عليه — على سبيل المثال — اختيارهما لعناوين رواياتهما: (كلاريسا هارلو، وبامبلا، وتوم جونز، وجوزيف أندروز... الخ). إلا أن هذين الرائدتين في مجال الرواية الانجليزية اختلفا اختلافا كبيرا في مواقفهما من الشخصية والحكمة. فحيث إن فيلدنغ كان معنياً بشكل أساسي بالحدث، فقد اهتم اهتماماً كبيراً بالحكمة التي هي في المقام الأول مجمل الأحداث. أما ريتشاردسن فقد سيطر على فكره الكشف عن سريرة القلب البشري، والغوص في أعماق النفس البشرية بحيث إنه أعطى القليل من الاهتمام للحكمة.

ومع نهاية القرن الثامن عشر سعى رواد الحركة الرومانتيكية في أوروبا إلى تأكيد أهمية التجربة الشخصية ومغزاها، ونشدوا التحرر من قيود التعبير الأدبي التي فرضتها القواعد الأدبية الكلاسيكية. فمن خلال الحركة الرومانتيكية كانت البداية الفعلية للانصراف عن الاهتمام المفرط ببناء الحكمة والاتجاه للتحليل النفسي للشخصيات الذي أصبح موضع اهتمام كتاب القصص الأدبي بكافة أنواعه.^{١٨} وقد استمر هذا الاهتمام الجديد بالجانب النفسي للشخصية منذ ذلك الحين وحتى عصرنا الحاضر على الرغم من التغيرات والتطورات المستمرة التي طرأت عليه. ويمكن القول بأن فرجينيا وولف قد عبرت عن رأي الكثير من روائيي القرن العشرين وهي تعبر عن رأيها الشخصي بهذا الصدد، قائلة:

اعتقد جازمة أن الشخصية هي محور الاهتمام في مجمل الروايات. فالهدف الذي نشأ من أجله فن الرواية هو تجسيد الشخوص، وليس تقديم الوعظ أو الترفيه أو الاحتفاء بأمجاد الإمبراطورية البريطانية. ومن أجل هذا الهدف أساساً نشأ وتطور هذا الشكل الأدبي الفريد في ثرائه و مرونته وحيويته.^{vi}

ومع ذلك فإن اهتمام كتاب الرواية بالشخوص في القرن العشرين اختلف اختلافاً واضحاً عن الاهتمام الذي أولاه الكتاب الرومنتيكيون في القرن التاسع عشر للشخصية . وهذا الاختلاف يتضح بصورة جلية في موقف هنري جيمس الذي يعد أحد أهم مبدعي ونقاد فن الرواية في القرن العشرين.^{vii} فبينما اتفق اتفاقاً تاماً مع فرجينيا وولف على أن الغاية الأساسية من الرواية هي (التعبير عن الشخصية) ، فقد خالفها في موقفه من أهمية الحكمة في الرواية. فاستعاد للحكمة مكانتها المهدرة . إلا أن الحكمة التي أشاد بها ليست هي نفس الحكمة القديمة التي تعتمد غالباً على الأحداث الخارجية. بل هي حكمة مستحدثة لا يمكن فصلها عن الشخوص لأنها لا تدور حولهم بل تنبثق منهم . ولقد أوضح في مقالته "فن القصص الخيالي" هذا الرأي، حيث قال : "إن الشخصية ما هي إلا منبع الحدث ، والحدث ما هو إلا إيضاح للشخصية ، و الرواية أو الصورة الفنية لا يمكن أن تكون إلا تجسيداً لشخصية ما."^{viii} وهكذا يمكن التأكيد بأن هنري جيمس كان يؤمن بالأهمية القصوى للأحداث إلا أن الاهتمام بها ينبع من الاهتمام بالشخوص . تتضح هذه النقطة في مقدمة روايته (صورة سيدة) حيث ورد فيها على لسان جيمس:

يصعب أن نتخيل رواجاً لأي عمل أدبي لا يكون
نتاجاً لعناصره. كما أنه من الصعب التفكير في أن
الاهتمام بموقف ما لا يتأثر بمدى اعتماد الموقف
على طبيعة الأشخاص الذين وجدوا أنفسهم فيه،
تلك الطبيعة التي تحدد طريقتهم في التعامل معه.^{ix}

وهذا يبرر إعجاب هنري جيمس الشديد بالطريقة التي صور بها
تورجينييف شخوص مسرحياته، حيث تبرز صفاتهم وخصائصهم الخارجية
والداخلية بطريقة مقنعة عن طريق الكشف عن علاقتهم المتبادلة، وطريقة
تعاملهم مع بعضهم البعض، ومن خلال ما يقومون به من محاولات
وتجارب، وما يبذلونه من جهود، وما يكافحون من أجله باستمرار كمناضلين
تتقاذفهم قوى الصراع الدائم الذي تتسم به حياة البشر. وفي مقالة بعنوان
"تورجينييف" في كتاب (جل أعمال هنري جيمس)، يعبر جيمس عن إعجابه
بفن تورجينييف المتميز الذي يبدو جلياً من خلال تصويره لعناصر بشرية
حية لا يمكن فصلها بأي حال من الأحوال عن سلسلة الأحداث التي يتعايشون
معا. والعبارات التي استخدمها جيمس لإطراء براعة تورجينييف في المزج
بين الشخصية والحدث تمثل إلى حد كبير الرؤية الجديدة للشخوص في أدب
القرن العشرين. بهذا الصدد يقول جيمس:

ما نجده باستمرار هو الشخصية، الشخصية المجسدة والمكشوفة.
إن حسن تقدير تورجينييف لهذه الشخصية كان بمثابة النور الذي
أضاء طريقه كفنان، وقاد مسيرته الفنية. إن أقل تقدير له هو أن
نقول إن حسه الفني العميق بالشخوص كان كافياً لخلق أحداث العمل

الدرامي . فلقد تعامل مع الفرد بأسلوب لا يضاهي، أسلوب يتميز بدقة الرؤية، ويتسم بالرفقة بقدر ما يتسم بالسخرية. إن أسلوبه لا يتميز فقط بتصويره لشخصية الفرد مجسداً كل ما تتميز به من صفات دقيقة وسمات مميزة، وخصوصيات موروثية وجوانب قوة أو ضعف، وخصال لها صلة بالجمال أو القبح أو الغرابة؛ وإنما هذا الأسلوب في جوهره هو تصوير للفرد في خضم تيار الحياة، منغمساً في علاقاته وصلاته الاجتماعية، مكافحاً أو غارقاً في الشقاء كقطرة منجرفة في تيار ماء جارٍ.^x

(٢)

إن الهدف من هذا البحث هو تتبع التميز الذي انتسم به اندماج الحدث مع الشخصية في قصة يوسف عليه السلام في القرآن الكريم. وكما أشار درايدن في "مقال عن الشعر المسرحي"، فعلى الرغم من أن القصة في أي عمل درامي لا بد أن تضم عدداً من الشخصيات الهامة إلا أن الفن القصصي يقتضي وجود

شخصية واحدة ظاهرة على باقي الشخصيات وبناء على ذلك فإن الجزء الأكبر من الحدث لا بد أن يدور حول هذه الشخصية، فنراها تؤثر تأثيراً فعالاً في العلاقات بين جميع الشخوص الأخرى . لا أحد يوازي هذه الشخصية تماماً، ولا حتى أكثر الشخوص سمواً. فكفتا الميزان لا تتعادلان أبداً، إذ لا بد أن ترجح كفة الشخصية الرئيسية وذلك إما بسبب الدور الذي تؤديه أو مستوى ثرائها، أو نوع اهتماماتها أو أن السبب هو عمل بطولي عظيم جدير بالتقدير أدى

إلى أن تحظى هذه الشخصية بالنصيب الأوفر من الحدث الفني.^{xi} ولكن درايدن استترك موضعاً أن تميز شخصية واحدة في المسرحية لا يعني بأي حال من الأحوال أن الشخصيات الأخرى مهمة أو أن أدوارها باهتة لا تأثير لها في الحدث.^{xii} إن العمل الدرامي، كما أكد درايدن، إذا ما أريد منه أن يكون تجسيداً واقعياً للحياة البشرية، يجب أن يكون لكل شخصية فيه وظيفة محددة تساهم من خلالها في بناء وتعزيز الحكبة الفنية للقصة أو على أقل تقدير في توضيح بعض جوانبها.^{xiii}

وهذا بالضبط ما نشعر به عند قراءة قصة يوسف (عليه السلام) في القرآن الكريم (والتي سبقت قول درايدن بقرون). فجميع الشخصيات بلا استثناء لها أنوار تميزها وتسهم في خدمة الحكبة التي تعتمد وحدتها على تكامل ما يؤديه الشخوص من أدوار. وهذا لا يتعارض — بلا شك — مع كون يوسف (عليه السلام) هو الشخصية الرئيسة التي تحتل مكان الصدارة حيث تؤثر و تتأثر بباقي الشخصيات بل وبمجمال عناصر القصة. ولذا على الرغم من الأهمية الجوهرية لشخصية يوسف (عليه السلام)، فإن تحليل شخصيته في هذا البحث يأتي عقب تحليل الشخصيات الأخرى الأقل أهمية في القصة. ذلك لأن جميع الشخوص (الرئيسة والثانوية) وجميع الأحداث و المواقف تساهم في إلقاء الضوء، من عدة زوايا و بدرجات متفاوتة، على جوانب معينة من شخصيته (عليه السلام)، فتوضح نموه وتطوره الجسدي والعقلي والروحاني، وتطور علاقاته بالشخوص الأخرى، كما تسهم في بيان مراحل تقدمه نحو المصير الذي قدره المولى عز وجل له.

تحتل شخصية يعقوب (عليه السلام) المكانة الثانية في القصة، حيث تصور لنا القصة هذه الشخصية كنبي من أنبياء الله الأتقياء (عليهم السلام)، وكأب حنون مولع بابنه تصويراً رائعاً يتسم بالصدق والواقعية. فنذكر منذ الظهور الأول ليعقوب (عليه السلام) أننا أمام شخصية تتمازج فيها بشكل تلقائي البصيرة اللدنية، والإيمان الصادق الذي يميز أنبياء الله تعالى (عليهم السلام)، مع بعض جوانب الضعف الذي تتسم به الطبيعة البشرية بشكل عام، ذلك الضعف الذي يبدو جلياً في حنوه المفرط على ولديه الصغيرين، وخشيته الدائمة عليهما من شر منذر رغم توكله التام على الله تعالى، وثقته الكاملة بالعناية الإلهية. لقد جسد يعقوب (عليه السلام) ما تتصف به شخصية النبي من نقاء روحاني وحكمة وصلاح. فكان سلوكه و علاقته مع الآخرين نتاجاً لهذه الصفات التي وقفت أيضاً خلف ردود أفعاله لكل ما أصابه. فجميع تصرفاته تعكس إيمانه العميق وصلته الوثيقة بالله تعالى. إلا أن حكمة المولى سبحانه اقتضت أن يكون أنبيأؤه من البشر. لذلك كان لابد أن يتسم سلوكهم ببعض مظاهر الضعف الإنساني. فما عجز يعقوب (عليه السلام) عن إخفاء ولعه بيوسف (عليه السلام) عن إخوته الأكبر منه سناً إلا مظهر لهذا الضعف.

قدم الرازي بعض التبريرات المنطقية للتساؤل الفرضي حول تعارض هذا القصور مع العصمة التي يتميز بها أنبياء الله (عليهم السلام). فاستند في شرحه لهذا الجانب - في المقام الأول - على قوة العواطف التي لا سلطان للإنسان عليها. وبناء على ذلك فإن يعقوب (عليه السلام) لا يمكن أن يُلام على ما لا يملكه، فمشاعره أبت إلا أن تميل إلي يوسف (عليه السلام) وأخيه الأصغر. أما بالنسبة لإبداع يعقوب (عليه السلام) هذا الميل للعيان

فلقد اعتبره الرازي تصرفاً تلقائياً صدر عن والد حنون لتعويض ولديه الصغيرين عن حنان الأم الذي فقدها منذ نعومة أظفارهما. وفي حالة العلاقة الحميمة بين يعقوب و يوسف (عليهما السلام) فهي علاقة سببها ميل إنساني طبيعي من جانب الأب نحو ابنه الذي يري فيه علامات مبكرة لشخصية تتميز بالسمو الوجداني والخلقي والعقلي. ويضيف الرازي أنه فضلاً عن تلك الأسباب المنطقية فإن هناك إمكانية تأثر يعقوب بظنه أن يوسف قد يكون أكثر نفعاً له عند كبر سنه من إخوته الأكبر سناً، والأقوى بنية.^{xiv} إلا أن هذا التبرير الأخير ليس مقنعاً كمثل التبريرين السابقين. لأن مثل هذا السبب النفعي البحت لا يكاد يترك أثراً علي قلب أي أب عادي فما بالناس بيعقوب (عليه السلام) الذي يجسد سمو الفكري والراقي الخلقي اللذين أنعم الله تعالى بهما على أنبيائه (عليهم السلام).

ورغم أن التبريرات التي قدمها الرازي منطقية ومعقولة يظل الواقع الذي لا يمكن إنكاره هو أن ظهور ميل يعقوب نحو يوسف (عليهما السلام) قد يكون السبب غير المباشر لتفكير أبنائه في الجريمة. وإن لنا لعبرة وعظة في هذه العلاقة بين الأب وأبنائه، ونتائجها السلبية. وقد أشار الشيخ/ محمد متولي الشعراوي في دراسة موضوعها المنهج الإسلامي القويم في تربية الأبناء إلى الدرس الذي نتعلمه من تجربة يوسف (عليه السلام) وإخوته. فرغم التفهم الذي أظهره الشيخ الشعراوي لدوافع يعقوب للميل نحو ابنه يوسف (عليهما السلام)، فلقد اعتبر أن هذا الميل الظاهر للعيان كان له أثره السلبي على نفوس الإخوة الأقل حظوة، حيث أوجد لديهم عقدة نفسية، تحولت

مع مرور الوقت إلى عنف عدواني، تعاضم في نفوسهم حتى انفجر في صورة جريمة بشعة ضد أخيهم الصغير الذي لم يقترب ذنباً قط.^{xv}

خلق الله تعالى يعقوب (عليه السلام) ليكون بشراً نبياً. و الصورة التي ظهر فيها من خلال القصة تتسجم تماماً مع كونه نبياً مخلصاً ورعاً، من أبرز صفاته الخضوع التام لإرادة المولى جل شأنه، وهو خضوع مصدره إيمانه الصادق بالله سبحانه و تعالى؛ ومن الجانب الآخر فهو بشر يتمثل ضعفه البشري في ظهور ميله المفرط نحو ابنه الأقرب إلى نفسه، مما يتلاءم مع طبيعته البشرية على اختلافها عن طبيعة الملائكة التي لا يجد الشيطان إليها سبيلاً. فمن خلال إثارة مشاعر الخوف واللهفة على ولده الحبيب، تمكن الشيطان من حجب الحقيقة لوهلة عن ناظره. فبدلاً من اللجوء إلى المولى جلت قدرته، لجأ إلى زريعة حاول من خلالها أن يثني أبناءه عن أخذ أخيهم الصغير معهم. وقد دفعه لهذا التحايل شعوره بالكرب الشديد ورغبته الجامحة في حماية ابنه الصغير الذي لا حول له ولا قوة، (إذ قد أثار التماس أبنائه المفاجئ الريبة في نفسه). ولذا حاول إقناعهم بأن أخذهم أخاهما الأصغر بعيداً عنه سيملاً نفسه بالأسى والخوف عليه، ناشدهم متوسلاً:

”قَالَ إِنِّي لَخِزْنُي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ.“

الآية ١٣ سورة يوسف^{xvi}

في تفسيره لمعنى هذه الآية الكريمة، قال الرازي إن الله سبحانه وتعالى حرم يعقوب (عليه السلام) من سماع أية كلمة تطمئنه على ابنه المفقود طوال سنوات حزنه وحرمانه منه بسبب هذه الهفوة اللفظية.^{xvii} كما أشار أحمد بهجت إلى هذه النقطة موضحاً أن الخالق جل شأنه من على نبيه

(علیه السلام) بالفرج من المحن القاسية التي اجتازها، وفي مقدماتها فقدانه المؤقت لابنيه الصغیرین الحظیین، فقط بعد أن تحرر نبي الله (علیه السلام) من العاطفة الأبوية المفرطة، وخضع خضوعاً تاماً، قلباً وقالباً، لإرادة الله سبحانه وتعالى.^{xviii} وتؤكد الكلمات التي تفوه بها يعقوب علیه السلام عند ظهوره الأخير في القصة، مباشرة قبل انتهاء محنته القاسية، أنه مزيج من الطبيعة البشرية وسمو الروحانية النبوية. فلقد تنبه يعقوب (علیه السلام) ببصيرة الأنبياء بأن البشرى في طريقها إليه بمجرد أن تحركت القافلة المحملة بالأنبياء السارة، فأبت نفسه بطبيعتها البشرية إلا أن تكشف ابتهاجه لتوقه قرب استعادة ابنه الذي طال غيابه.

"وَلَمَّا فَصَلَ الْغَيْرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّنُونِ".

(الآية ٩٤ سورة يوسف) ^{xix}

وهكذا من خلال التفاصيل الدقيقة تتضح بصورة جلية شخصية يعقوب عليه السلام كنبي من البشر. فعلى الرغم من كونه أحد أنبياء الله الصالحين، إلا أنه، شأنه شأن باقي البشر، يتأثر بالأحداث من حوله ويؤثر فيها. وهذا الترباط الذي لا انفصام له بين شخصية يعقوب (علیه السلام) وأحداث القصة التي هو شخص رئيسي فيها يذكرنا بالصورة التي رسمها فورستر (بعد قرون من نزول هذه القصة الفريدة في القرآن الکریم) للتعبير عن إعجابه الشديد بالترباط التكاملی بين الشخص والأحداث في إحدى حكايات مريدث الرائعة ، حيث شبه حكمة تلك القصة

بسلسلة من الأكواخ المترصة ببراعة وسط منحدرات ذات أشجار،

تترك أثرها على زائريها، وتثير لديهم دوافع مختلفة عن دوافعهم التي قدموا بها للزيارة. فتتبعث الأحداث من الشخصية وتعود لتؤثر على ذات الشخصية. فالعلاقة وثيقة بين الناس والأحداث.^{xx}

ولو أمعنا النظر في السورة الكريمة التي نحن بصددنا لوجدنا أن الطابع الشخصي ليعقوب (عليه السلام) قد أثر في تطور الأحداث بطريقة مباشرة وغير مباشرة، فشخصية يوسف (عليه السلام) التي تتبع منها الأحداث الرئيسية ما هي إلا نتاج لعوامل وراثية وثقافية مصدرها أساساً والده يعقوب (عليه السلام). وفي الوقت ذاته فإن تميز شخصية الابن هو السبب الأساسي لحب الأب الجامح له، وهذا الحب بدوره هو بالفعل القوة الدافعة للأحداث في القصة. ومن جهة أخرى فإن الورع الذي اتصفت به شخصية يعقوب عليه السلام، والجو الأخلاقي الذي تربى فيه أبنائه كان لهما عظيم الأثر في كبح جماح الدوافع الشريرة التي سيطرت على أبنائه في لحظات ضعف، الأمر الذي حال دون ارتكابهم لجريمة القتل. وهكذا فإن الحدث الأساسي الذي نبع من شخصية يعقوب عليه السلام بشكل مباشر وغير مباشر "أثر بدوره في الشخصية ذاتها". ففي نهاية المحن القاسية التي تعرض لها "بسبب دوافعه البشرية"^{xxi} تحرر يعقوب (عليه السلام) من الحب الأبوي المفرط وكرس نفسه قلباً وقالبا لخالقه سبحانه وتعالى.

ثم نأتي بعد شخصية يعقوب (عليه السلام) إلى شخصيات أبنائه الأقل حظوة لديه، والذين ظهروا كأشخاص عاديين في بداية القصة. إن تصوير شخصياتهم في هذه الفترة من حياتهم هو تقديم واقعي للطبيعة البشرية، وما صاحبها بشكل دائم من صراعات بين قوى الخير والشر. فظهورهم الأول القصة يتضح منه مدى امتعاضهم وشدة ثورتهم بسبب حب والدهم الشديد

لأخويهم الصغيرين. فهم فريسة لمشاعر الحسد، تتملكهم فكرة مادية وهي أن هذه المغالاة العاطفية من قبل والدهم غير عادلة، كما أنها تتنافى مع المنطق السليم. فمن وجهة نظرهم أنهم هم الأحق بهذا الحب لأنهم الأقوى لذلك فهم الأكثر قابلية لمنفعة والدهم من أخويهم الحظيين لديه. لقد وجد الشيطان في شدة غضبهم فرصة سانحة ليصب الزيت على النار، فكانت الثورة التي دفعتهم للتفكير في التخلص من منافسهم الأساسي الذي يستحوذ على الجزء الأكبر من عاطفة أبيهم، فأعمت بصائرهم إلى درجة التخطيط لقتل أخيه الصغير الذي لم يقترب ذنباً، أو على الأقل إقصائه إلى أرض نائية مهجورة لا عودة له منها، غير عابئين بأنه سيكون عرضة للهلاك بسبب الحيوانات الضارية أو نحوها. إلا أن الآيات الكريمة التي تكشف عن وحشية فكرهم الهمجي هي ذاتها تشير بشكل غير مباشر إلى الجوانب الأفضل في شخصياتهم:

"إِذْ قَالُوا لِيُوسُفَ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ، إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ"

اقتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ

قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن

كُنْتُمْ فَاعِلِينَ. *xxii (الآيات ٨، ٩، ١٠ سورة يوسف)

في المقام الأول يجب أن لا يغيب عن أذهاننا أن أساس دافعهم للانتقام الوحشي من أخيهام هو حبهم لوادهم، وتطلعهم إلى نيل حبه كاملاً. فضلاً عن

ذلك فإن هناك القوة القاهرة لغريزة القطيع، وهي إحدى الحقائق في مجال الدراسات النفسية التي تدفع الناس ذوي الاستقامة للتصرف بشكل جماعي بطريقة يرفضونها جميعهم كأفراد. إن فهمنا لهذه الغريزة و تأثيرها على سلوك البشر يمكننا من فهم إجماع إخوة يوسف (عليه السلام) على تنفيذ مؤامرتهم البغيضة. بالإضافة إلى ما سبق ذكره بالنسبة لشخصيات إخوة يوسف (عليه السلام) ودوافعهم فإنه مما تجدر الإشارة إليه هو عزمهم على العودة لحياة الفضيلة والصلاح بعد ارتكابهم لجريمتهم الشائنة، الأمر الذي يؤكد أنهم كانوا واقعين تحت تأثير وهم ذهني مضلل حجب عنهم القدرة على التفكير السليم. فلقد سيطر هذا الوهم عليهم بسبب مشاعر الحسد والبغض التي يقف وراءها إحساسهم بالأسى والغم لما لمسوه من تفضيل والدهم الذي لا مبرر له — من وجهة نظرهم — لأخيهم الأصغر وشعورهم بأن هذا التفضيل فيه إجحاف بقدرهم. فلما تملكته تلك المشاعر — وما صاحبها من كدر — أعمت بصائرهم فلم يعودوا قادرين على إدراك مدى فداحة وبشاعة الجريمة التي يخططون لها للتخلص من ضحيتهم الذي لم يقترب ذنباً قط. وهنا ندرك مغزى الإشارة الربانية بأن في قصة يوسف (عليه السلام) "آيات" للساعين للعلم النافع، وللاعتاظ بما في تجارب السابقين من دروس وعبر:

"لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَأَخْوَتِهِ آيَاتٍ لِّلْمُتَّعِلِينَ." ^{xxiii} (الآية ٧ سورة يوسف)

وفي هذا الصدد يحث الشيخ محمد متولي الشعراوي (يرحمه الله)

— من خلال توضيحه للجانب الصالح في شخصيات الإخوة — على التمعن في الآيات التي تخبر عن مكيدتهم المشتركة ضد أخيهم يوسف (عليه السلام). فبالتأمل الدقيق يتضح لنا كيف تكشف هذه الآيات ضمناً عن عنصر غير الذي لابد أن يكون هؤلاء الإخوة العشر قد ورثوه عن والدهم الورع

النقي، واكتسبوه من البيئة الصالحة التي أمضوا فيها سنوات طفولتهم؛ فلقد نشؤوا في بيت النبوة الطاهر. توضح الآيات أن عنصر الصلاح جزء لا يتجزأ من طبيعتهم، وأنه كان له الأثر الواضح على تصرفاتهم في مواقف عدة. فمن الأمثلة التي أوضحها الشيخ الشعراوي موقف التخطيط للجريمة نفسه، حيث يتضح من خلاله كيف أخذت دوافع الشر تهدأ تدريجياً في نفوسهم بعد أن قاموا بالتنفيس عن الغضب العارم الذي تملكهم في بداية الأمر. فلقد كان اقتراحهم الأول هو قتل يوسف (عليه السلام) ثم تحول تفكيرهم إلى إقصائه إلى أرض نائية بعيداً عن نظر والدهم (وهو اختيار أقل وحشية من الاختيار الأول رغم أنه مازال ينطوي على مخاطر حقيقية تهدد حياته). واستقروا في نهاية الأمر على إلقائه في بئر على طريق القوافل آملين أن يلتقطه بعض المسافرين. وهكذا فإنه عندما حان وقت تنفيذ جريمتهم أظهر موقفهم أن رغبتهم في التخلص من أخيهم تلازمها رغبة أخرى ألا وهي المحافظة على حياته بعيداً عنهم.^{xxiv} هذه الفكرة أكدها أيضاً بهجت أثناء تقييمه لشخصيات الأخوة، حيث ذكر أن التبرير النفسي لتصرفهم الأخير بعد أن خمد غضبهم يؤكد أن ما دفعهم لارتكاب جريمتهم ليس فساداً خلقياً ولكنه ما أثير في نفوسهم من مشاعر وقتية متهورة بسبب ظروف غير مواتية.^{xxv}

لم يظهر إخوة يوسف (عليه السلام) في القصة بعد ذلك إلا عند حلول المجاعة المهلكة، وذهابهم إلى مصر طلباً للعون لأسرهم وللناس الذين كانوا يتضورون جوعاً في بلدهم. فلم تظهر الآيات الكريمة حتى هذه المرحلة من القصة أي سلوك شائن من قبلهم في أي موقف بعد ارتكابهم لجريمتهم

الشنعاء ضد أخيه، تلك الجريمة التي بررتها لهم أنفسهم المريضة بسبب ما كانوا يعانون منه من اضطراب ذهني ونفسي في تلك المرحلة من حياتهم. وهذا لا يعني بالطبع أنهم تحولوا بعد ذلك إلى شخصيات ملائكية لا تشوبها شائبة. وليس أدل على ذلك من ردة فعلهم عندما تم توجيه تهمة السرقة إلى أخيه الأصغر بنيامين (وهو الابن الذي أضحى المفضل لدى أبيهم بعد غياب يوسف (عليه السلام)). فلقد سارعوا إلى تصديق التهمة التي تستوجب عقوبة أخيه بالحرمان من الحرية، والتعرض لذل العبودية وأغلالها ؛ ولم يروعهـم لأول وهلة أنهم هم الذين أصدروا هذا الحكم القاسي على أخيهـم ، وإن كانوا قد فعلوا ذلك بغير قصد.^{xxvi}

والأعجب من ذلك أن الإخوة لم يظهروا أي لمحة من المشاعر الإنسانية الطبيعية تعاطفاً مع شاب في مقتبل عمره يتعرض لهذه العقوبة الرهيبة، وما تمثله من مصير بائس له دونما ذنب اقترفه. بل على العكس من ذلك فلقد استمتعوا في الخفاء بشعور الرضي والتشفي، خادعين أنفسهم، ومؤكدين لها التثني الخلفي لأخويهم المفضلين من قبل والدم (عليه السلام) لتوهمه على غير أساس (من وجهة نظرهم) بأنهما يتمتعان برقي خلقي يميزهما عن بقية إخوتهم. هذا الشعور الخفي كشفت عنه كلماتهم التالية:

قَالُوا إِن يَسْرِقَ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ...^{xxvii} (من الآية ٧٧

سورة يوسف)

ورغم شدة القسوة التي اتسم بها سلوكهم في هذا الموقف العصيب، فإن إخوة يوسف ليسوا شياطين لا قلب لهم ولا ضمير. وخير دليل على ذلك سلوكهم بعد التروي وتدبر الأمر. فبالرغم من عدم تورط أي منهم في جريمة سرقة المزعومة التي كان يوسف عليه السلام قد دبرها، بوحي من الله

تعالى، لحكمة إلهية، وبالرغم من اعتقادهم فى ذلك الحين أن أخاهم كان بالفعل مذنباً، إلا أن كل واحد منهم قد أبدى استعداداه التام للتخلي عن حريته الغالية افتداء لأخيه. ويجب أن لا يغيب عن أذهاننا أن هذا الأخ كان ما يزال فى نظرهم المنافس الذي يستولي على جل عاطفة أبيهم، والتي — من وجهة نظرهم — هم أحق بها وأهلها. ورغم هذا الشعور الطاعى الذي تملكهم فقد كانوا جميعاً بلا استثناء على أتم استعداد للتضحية بالغالى والنفيس فى سبيل إنقاذ أخيه. وما ذلك إلا لإدراكهم التام وقناعتهم أن فقدان هذا الابن يعنى انهيار أبيهم المسن الكظيم انهياراً تاماً، وهذا ما لا يستطيع أي منهم تحمله. إن هذه المبادرة النبيلة المتمثلة فى إثثار أخيه على أنفسهم تدل على صدق مشاعرهم، وعمق عاطفتهم نحو أبيهم الذي تقدمت به السن، والذي مازال يكظم حزنه العميق على فقدان يوسف (عليه السلام).

ومع ذلك لم يكد الجانب الصالح فى شخصيتهم يبرز حتى غلبتهم مشاعر الغيظ والغضب مرة أخرى. إذ سرعان ما انتكس الإخوة عندما لاحظوا إصرار والدهم (عليه السلام) على إظهار حبه الشديد لابنيه الصغيرين، وشعورهم بتفضيله لهما. فلقد ساءهم بشدة تذكر والدهم لمصيبته القديمة بسبب تجدها فى صورة فقدان لابنه الثانى. ومن ثم نبعت تلك الكلمات القاسية التي نبست بها شفاههم تنفيساً عن غيظ قلوبهم، ولوماً لأبيهم المسن على شدة حزنه على ولده المفقود، ذلك الحزن الذي لا يفتر، والذي أكد لهم أن يوسف (عليه السلام) مازال أحب أبنائه إلى نفسه:

وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَى عَلَى يَوْسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ

فَهُوَ

كَظِيمٌ * قَالُوا تَأَلَّه تَفْتَوُ تَذَكَّرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ
الْهَالِكِينَ. ^{xxviii}

(الآيتان ٨٤، ٨٥ سورة يوسف)

ولكن هذه الانتكاسة لم تدم طويلاً، إذ ما لبثوا أن وجدوا أنفسهم في موقف رقت فيه أفئدتهم القاسية، وامتألت نفوسهم بالندم والخزي. فلقد وقع الإخوة في شر أعمالهم عندما بلغت الأحداث ذروتها، ووضعهم في موقف لا يحسدون عليه، قد جلبوه لأنفسهم بما صنعت أيديهم. فسماحة النفس التي وجدوها لدى أخيه، والسمو والإحسان اللذين قابل بهما جريمتهم النكراء ضده جعل مشاعر الخزي والعار تسيطر عليهم إذ ظهرت لهم في ذلك الحين الحقيقة جلية، والتي حالت جهالتهم، دون إدراكهم لها من قبل:

قَالُوا تَأَلَّه لَقَدْ أَثَرَكَ اللهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ. ^{xxix} (الآية ٩١ سورة يوسف)

وهكذا يخرج إخوة يوسف من الظلمات إلى النور متوجهين إلى والدهم بإخلاص التائبين المنيبين، ملتجئين منه أن يبتهل إلى الله تعالى سائلاً لهم المغفرة، الأمر الذي يعطي انطباعاً بأنهم أدركوا عظم ذنبهم حتى أنهم ظنوا أن توبتهم الصادقة ليست كافية لنيل مغفرة الله تعالى، فلجأوا إلى والدهم ليستغفر لهم طمعاً في أن يشملهم الله بمغفرته ورحمته، كرامة لأبيهم النقي النقي:

قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ. ^{xxx} (الآية ٩٧ سورة يوسف)

وهكذا ظلت جوانب الخير والشر تتصارع في نفوس الأخوة منذ بداية القصة وحتى نهايتها، حيث شاعت إرادة المولى عز وجل أن ينتصر

فى النهاية جانب الخير فيها. وقبل أن نتحول إلى شخصية أخرى تجدر الإشارة إلى أن إخوة يوسف (عليه السلام) قد ظهوروا فى الرؤيا الحق التى رواها يوسف لأبيه (عليهما السلام) فى مستهل السورة فى صورة كواكب، وهذا يعنى أن النور جزء من تكوينهم وإن لم يكن بقوة النور الذى ترسله الشمس أو الذى يعكسه القمر اللذان يمثلان والديهم فى الرؤيا. وبناء على ذلك فإن إخوة يوسف (عليه السلام) فى هذه القصة - وما تحويه من دروس وعبر للبشر - هم تجسيد حي وواقعي للطبيعة البشرية و ما تتسم به من الجمع بين الظلمات والنور، والخير والشر، و ما يعترى الإنسان من لحظات قوة ولحظات ضعف، وما يترتب على سلوك الإنسان، النابع من نفسه، من أحداث لا بد له من تحمل نتائجها ، ولا يستطيع بأي حال من الأحوال الهروب من عواقبها.

ومثل آخر للكمال الفني الذي لا يضاهى فى هذه القصة القرآنية هو شخصية زوجة العزيز التي تعكس كمال الصنع الرباني الذي لا مثيل له. و تذكرنا هذه الشخصية بالكلمات التي ذكرها ليفيز في مدح إحدى روايات لورنس، حيث قال: "إننا نلاحظ ظهور الجوانب المميزة للشخصيات الرئيسية من خلال إيجاز سهل ممتنع".^{xxxi} فلقد ضرب الله تعالى مثلاً رائعاً فى الإيجاز والواقعية فى تصوير الشخصيات، من خلال إبراز حقيقة هذه الشخصية وحيويتها وذلك فى ثلاثة مشاهد فقط يتعرف القارئ منها على الشخصية بوضوح لا يمكن أن يضاهيه وضوح أي شخصية فى أعمال أشد الروائيين براعة وإبداعاً، حتى مع تعدد المشاهد والمواقف التي تتعرض لها مثل هذه الشخصيات بغرض إبراز سماتها وجوانبها المختلفة، وحتى عندما

يضطر الكاتب البارع أن يملأ صفحات وصفحات ليقتنع القارئ بواقعية شخصياته.

تظهر شخصية زوجة العزيز لأول مرة من خلال مشهد قصير تتعدد فيه المعاني، ويتميز بدقة التصوير:

"وَرَأَوْنَتَهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ، قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ، إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ، إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ * وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ، كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ، إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ * وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ، قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. * xxxii (الآيات ٢٣، ٢٤، ٢٥ سورة يوسف)

إن هذا الموقف الذي تم عرضه بطريقة موجزة تحوي ما قل ودل من الكلمات، لا يبرز الكثير من القيم والمفاهيم المتناقضة لكل من يوسف عليه السلام وزليخة فحسب، بل ويلقي الضوء أيضاً على التقاليد والأعراف المتضادة التي نشأ كل منهما في ظلها، والتي ساهمت بصورة فعالة في تكوين كل من الشخصيتين المتناقضتين. فكما يقدم هذا الموقف صورة حية للصفات الشخصية لزليخة، فهو في ذات الوقت يؤكد الصورة التي تكونت في أذهاننا عن يوسف (عليه السلام) منذ بداية تعرفنا عليه. و علاوة على ذلك كله فإن المشهد يكشف بوضوح — وإن كان بطريقة غير مباشرة — عن تاريخ طويل لقصة حب من طرف واحد بلغت أحداثها الذروة في المشهد الأول الذي ظهرا فيه معاً والذي يشير إلى مرحلة جديدة في حياة كل منهما. إن هذا المشهد لا يمكن إلا أن يكون نتاجاً لعدة محاولات يائسة من قبل زوجة العزيز لاستمالة يوسف عليه السلام في مواقف ومشاهد تركت لمخيلة

القارئ، إذ ليس منطقياً أن يظهر مثل ذلك السلوك الشاذ من قبل سيدة
ارستقراطية تنتمي إلى الطبقة الراقية في المجتمع نحو أحد فتيانها أو عبيدها
انطلاقاً من نزوة عابرة.^{xxxiii} إلا أنه لم يُترك لمخيلة القارئ العنان لتتطلق
كيفما اتفق، بل قيدتها ضوابط ودلائل متعددة تحول بينها وبين الوقوع في
الخطأ، و تعيدها إلى التسلسل المنطقي للقصة منذ بدايتها.

لقد علمنا مسبقاً أن يوسف عليه السلام قد نشأ في بيت العزيز، أي أنه
ظل يمثل جزءاً من الحياة اليومية لزليخة منذ أن دخل بيتها شاباً يافعاً جذاباً
فطناً متقد الذهن في السابعة أو الثامنة عشرة من عمره . وقد كان
العزيز — الذي حُرِم من الأبناء — قد طلب من زوجته أن تعتني بيوسف
عليه السلام، و أن تكرم مثواه أملاً في تبنيه ليكون ابناً لهما. و هكذا نشأت
مشاعر الألفة والمودة لدى زوجة العزيز نحو يوسف (عليه السلام) بمباركة
من زوجها نفسه، نشأت تلك المشاعر دون خوف من إثارة شكوك العزيز
الذي لم يكن تصرفه حكيماً رغم سلامة نواياه. وهكذا عاش يوسف عليه
السلام وزليخة تحت سقف واحد لسنوات عدة منحت زوجة العزيز الوقت
الكافي للتعرف عن قرب على ما يتحلى به (عليه السلام) من صفات نبيلة، و
ما يميز شخصيته من براءة ونقاء وطهارة واستقامة وشجاعة ورجولة
وكياسة. وباختصار كانت لديها الفرصة لاكتشاف جمال الخلق والروح اللذين
كان يتمتع بهما الشاب الذي عاش معها تحت سقف واحد، و نشأ أمام
ناظرها، فضلاً عما كان يميزه من وسامة وجمال خلقي مبهر.

فليس هناك إذاً ما يدعو للعجب أن تقع زليخة تحت سيطرة العاطفة،
لاسيما إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن زوجها المسن الم يكن قادراً — بناء

على ما أشارت إليه أحداث القصة ضمناً — على إشباع رغباتها العاطفية الملحة رغم ما يتصف به من دماثة خلق وطيبة قلب.^{xxxiv} كما أنها كانت محرومة من مجرد الأمل في إمكانية الارتباط برابط مقدس بالرجل الذي أحبه حبا جما.^{xxxv} وهكذا — مندفعة بتهور الشباب^{xxxvi} — أطلقت زليخة العنان لعاطفتها الملتهبة لاسيما في ظل عدم وجود قيود دينية أو أخلاقية واضحة تقيد تصرفات المرأة في البيئة التي نشأت فيها. فهي حتماً سبق أن قد حاولت أن تثير عاطفة يوسف (عليه السلام) عدة مرات على الأقل قبل الخطوة الأخيرة التي اتخذتها بلا خجل في المشهد الذي حدث أمام أعيننا، والذي يحكي لنا بصورة غير مباشرة قصة دارت أحداثها منذ أمد وراء الكواليس.

و يأبى المشهد إلا أن يكون ذا مغزى عظيم حتى آخر لحظة فيه، حيث تعزز نهايته المنطقية الصورة التي نحتفظ بها في أذهاننا لشخصية كل من يوسف (عليه السلام) وزوجة العزيز. فلقد عكس سلوك يوسف (عليه السلام) استقامته وحياءه، فلم ينبس ببنت شفه حتى أجبر على الكلام للدفاع عن شرفه. أما سلوك زليخة في ذلك الموقف فقد انصف بالجرأة المذهلة التي تتم عن شخصيتها المنحلة. فهي لم تكن فقط متمالكة لنفسها عندما ضُبطت متلبسة بجريمتها، لم تكن فقط قادرة على السيطرة على الموقف المخزي الذي وضعت نفسها فيه، ولم تكتف بقلب أدوار الضحية والجلاد برمي الشخص الذي كان ضحيتها بالجريمة الأخلاقية التي أقدمت عليها بنفسها، بل لقد وصلت بها الجرأة والوقاحة إلى أن تقترح العقوبة التي يستحقها يوسف عليه السلام بسبب محاولته الاعتداء عليها حسب زعمها.

و فى المشهد الثانى الذى ظهرت فيه نراها وقد تدهورت شخصيتها إلى الأسوأ. فزوجها — شأنه شأن كثير من دعاة التمدن فى عصرنا الحاضر — اكتفى بتأنيبها برفق (رغم إعلانه عن اقتناعه بذنبها)، كما اكتفى بتنبية يوسف (عليه السلام) بالتكتم على الأمر، وعدم نشر الخبر بين الناس، فهذا كل ما يعنيه: تجنب الفضيحة إن أمكن ذلك. فلم يظهر عليه ما يظهر على الأزواج من حنق أو غيظ فى مثل هذه المواقف المخزية التي تمس الشرف و الكرامة، و لم يكن مصدوماً بسبب محاولة زوجته خيانة الرباط المقدس الذي يجمعهما! بل إنه لم يتخذ أي إجراء لإبعاد زوجته عن الشاب الذي تسبب و جوده فى إقدامها على خيانة العلاقة الزوجية المقدسة. وهكذا كان لابد أن يتدهور الموقف إلى درجة تجرأت فيها الزوجة على التحدث علانية عن الرغبة التي كان من الطبيعي أن تخجل من الاعتراف بها جهرا لو أن زوجها تعامل مع الموقف بحزم أكبر.

ثم نفاجاً فى المشهد الأخير الذى ظهرت فيه زليخة فى القصة، بالتغير الجذري الذى طرأ على شخصيتها والذي يبدو فى سلوكها غير المتوقع، إلا أن التمعن فى هذا التغير يجعلنا نفتتح بأنه تغير طبيعي ومنطقي تماماً ولو أن مراحل تطور هذه الشخصية قد أخفيت عن القارئ لبرهة. فالقارئ الآن منهمك فى متابعة أحداث القصة من جانب آخر، حيث اقتضت الحكمة الربانية أن يقبع يوسف (عليه السلام) فى السجن لعدة سنوات، أمضى جزءاً منها برفقة ساقى الملك الذى عرف مدى صدق يوسف (عليه السلام) ومقدرته الفذة على تأويل الرؤى والتي تجلت فى تفسيره لرؤيا الساقى نفسه، ورؤيا زميل آخر لهما فى السجن. فها هوذا الساقى يزور

يوسف (عليه السلام) في السجن ليستشيريه في الرؤيا التي رآها الملك، والتي أثارت ضجة كبيرة.^{xxxvii} لم يكتف يوسف (عليه السلام) بتفسير الرؤية بصدق ورحابة صدر بل اقترح طوعية الإجراءات التي ينبغي اتخاذها لمواجهة الأزمة الاقتصادية التي تتذر بوقوعها تلك الرؤيا، وكيفية التغلب عليها.

فلما تبين للملك مدى استقامة يوسف (عليه السلام) وحكمته من تأويله الدقيق للرؤيا، كان من الطبيعي أن يتشوق للتعرف على الشخص الذي لم تحل سنوات سجنه ظلاماً دون ظهور شهادته ورحابة صدره. ولقد ظهر جلياً ما يتحلى به يوسف (عليه السلام) من حكمة وحصافة عندما أرسل الملك يستدعيه. فبدلاً من شدة الابتهاج لما تتطوي عليه مثل هذه الدعوة من احتمال إطلاق سراحه وتنعمه بالحرية، فإن يوسف (عليه السلام) رفض الخروج من السجن وحمل الرسول رسالة للملك مفادها التماسه أن يتم استجواب "النساء اللاتي قطعن أيديهن"^{xxxviii} دون أن يشير صراحة إلى زوجة العزيز مراعاة لحساسية الموقف. وقد دفعه لهذا التصرف رجاؤه ورغبته في تبرئة سمعته أمام الملأ من التهم الباطلة التي ألصقت به. كما أنه ربما كان يهدف أيضاً إلى حماية نفسه من أي خدع أو اضطهاد من قبل النسوة قد يتعرض له مستقبلاً. ولقد استجاب الملك فوراً لالتماس يوسف (عليه السلام) فاستدعى النسوة ليتم استجوابهن:

«قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَأَوْنَهُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ، قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ،

قَالَتْ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَأَوْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ

لَمِنَ الصَّادِقِينَ *

ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ * وَمَا
أَبْرَأُ نَفْسِي
إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ
رَحِيمٌ * xxxix

(الآيات ٥١، ٥٢، ٥٣، سُورَةُ يُوسُفَ)

إن هذا الاعتراف الصريح الذي جاء طواعية من قبل زوجة العزيز بفعلتها المخزية قد يثير العجب للوهلة الأولى. إذ كيف يمكن أن تتحول المرأة المتكبرة التي عهدناها لا ضمير لها إلى إنسانة نبيلة المشاعر تؤثر سواها على نفسها، فتتحمل مغبة الذنب كاملة لتبرئة نفس الشخص الذي كان ضحية لكيدها من قبل، و الذي تسبب ما ألصقته به من تهم باطلة في سجنه لعدة سنوات؟ بل إنها لم تحاول التخفيف من جرمها أمام الناس بكشف تورط النسوة الأخريات في الجريمة المشينة بشكل مباشر أو غير مباشر. مثل هذا التصرف من قبلها قد يبدو لأول وهلة متناقضاً مع ما عرفناه عن هذه الشخصية. إلا أننا إذا أخذنا بعين الاعتبار تأثير مرور السنوات على زليخة، وما عانتها من مشاعر الحب الصادق والحرمان والندم والأسى خلالها، وما تتركه مثل هذه المشاعر من أثر على النفس البشرية، لأدركنا العوامل التي أسهمت في تطوير شخصيتها وتطهير نفسها من الرغبات الخبيثة، ولاتضح لنا حينئذ أن التصرف غير المتوقع من قبلها ما هو إلا نتاج طبيعي للنضج الروحاني للنفس البشرية. إن تصرفها هذا يدل على أن تجربتها مع يوسف عليه السلام قد أضاعت الجوانب المظلمة في روحها و قادتھا إلى طريق الصلاح، الطريق إلى مغفرة الغفور الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء.^{xl}

لقد أطلق فورستر على مثل هذا التطور المفاجئ للشخصية في الأعمال الأدبية الراقية لفظ (الغموض)، وهو العنصر الذي يرى فورستر أنه يضيف على الحكمة جمالاً له سمة خاصة، جمالاً تلقائياً "يجب ألا يعتمد الروائي تحقيقه، وذلك رغم أن عدم إحرازه يعني فشله في تقديم عمل أدبي جيد".^{xli} وهذا الجمال التلقائي يربط الشخصيات بالحكمة ربطاً وثيقاً. ويتضح مفهوم فورستر لعنصر (الغموض) الذي يؤدي مهمة مزوجة تمزج بين الجمال الفني ودلالة الألفاظ، من خلال مثال آخر يعطيه من أعمال مريدث، فيقول:

هناك مثال (للغموض) في الحكمة الرائعة لرواية مريدث، (الأناني). يظهر هذا الغموض في التطور العاطفي لشخصية لاتيشيا ديل، حيث يطلعنا المؤلف في أول الأمر على كل ما يدور بخلدّها. فنراها حزينة ومستسلمة بعد أن نكت سير ويلوباي بعهدّه لها مرتين. ثم بعد ذلك — لإحداث تأثيرات فنية معينة — يخفي المؤلف أفكارها ومشاعرها عن القارئ، ولكنها تمر في ذات الوقت بالمراحل الطبيعية لتطور ونضج شخصيتها، ولو أنها لا تظهر للقارئ إلا في المشهد الأخير، ذلك المشهد العظيم في منتصف الليلة الحاسمة حيث يطلب فيه سير ويلوباي يدها للزواج. ففي تلك اللحظة تظهر شخصية لاتيشيا الجديدة، شخصية المرأة الناضجة القادرة على رفض طلبه بثبات، القادرة على قول كلمة "لا".^{xlii}

ويؤكد فورستر أن هذا النوع من الأحداث المفاجئة التي يمكن تبريرها وتفسيرها بصورة منطقية ومقنعة بواسطة ذاكرة القارئ ونكاته من

شأنه أن يضفي على الحكبة صفة الجمال الذي لا يمكن أن نجده إلا في الحكبة المترابطة^{xliii} والتي تخلو تماماً من أي عنصر زائد لا ضرورة له، أو أي عنصر لا يمكن تفسيره أو تبريره بصورة مقنعة قبل نهاية القصة. وفي هذا يقول فورستر:

إن كل حدث بل وكل كلمة تتضمنها الحكبة لابد أن يكون لها دور محدد لاغني عنه. وسواء كان هذا الحدث أو ذاك معقداً أو بسيطاً، فلا بد أن يكون جزءاً لا يتجزأ من الحكبة، وأن يكون خالياً تماماً من الأجزاء الزائدة التي لا ضرورة لها. قد تتسم الحكبة بالسهولة أو التعقيد، ولكنها في كل الأحوال تزداد قيمة وحسناً إذا تضمنت عنصر الغموض، شريطة ألا يكون هذا الغموض مضللاً. فإن مثل هذه الحكبة عندما تتكشف تدريجياً تزيد من سرعة توهج ذهن القارئ وذاكرته، فيعيد ترتيب الأحداث واستيعابها وتقويمها، فتظهر له دلائل جديدة، ويرى تسلسلات من الأسباب والعواقب لم يلحظها من قبل، بحيث يكون ما يحصل عليه القارئ في النهاية (إذا كانت الحكبة الفنية حكمة رائعة فعلاً) ليس تلك الدلائل والتسلسلات المنطقية التي تكشفت له فحسب، وإنما وحدة كلية

جمالية محكمة، مندمجة أجزاؤها بعضها مع البعض.^{xliiv}

ألا ينطبق هذا الوصف تماماً على القصة الرائعة و الموجزة التي نعرفنا من خلالها على جوانب شخصية و حياة زليخة في هذه السورة الكريمة الفريدة من نوعها؟ ألا يستمتع القارئ في نهاية قصة زوجة العزيز

بالتغير المفاجئ وفي ذات الوقت المنطقي في شخصيتها؟ ألا يتضح لنا الترابط الوثيق بين الأحداث والتطور المنطقي لشخصية زليخة؟ وفي هذه الرائعة القرآنية التي لا مثيل لها نجد أن سائر الشخصيات، وليس فقط الشخصيات الرئيسية، كشخصية يوسف (عليه السلام) وشخصية زليخة، مصورة بدقة و عناية، بحيث إن جميعها بلا استثناء ذات تأثير فعال على موضوع القصة و حبكةها. وبنكرنا هذا مرة أخرى بوصف فورستر للحبكة الفنية الرائعة وهي الحبكة التي لا توجد بها أي شخصيات زائدة يمكن الاستغناء عنها دون أي تأثير على التسلسل المنطقي للأحداث، شخصيات لا دور لها في سير الأحداث، شخصيات (كما يصفها فورستر في أحد أقواله عن مواصفات الحبكة الفنية الرائعة) للزينة فقط، لا هدف من وجودها في القصة كالسكندريين الثرثارين على مائدة نيشيا. فجميع الشخصيات في الحبكة الفنية الرائعة لا بد أن تسهم بفاعلية في تطور الموضوع الرئيسي، وهكذا فإن التأثير الختامي، الذي تم الإعداد له مسبقاً، ينكشف تدريجياً للقارئ فتظهر في النهاية غاية في الجمال والكمال.^{xiv}

وعلى الرغم من أهمية الدور الذي تلعبه كل من الشخصيات الثانوية في الحبكة الفنية إلا أنها تنقسم إلى صنفين مختلفين أحدهما أكثر أهمية من الآخر. فالنوع الأول يعطينا الانطباع بأنها شخصيات تمثل بشراً مثلنا لكل منهم حياته الخاصة رغم أننا لا نملك وسيلة للتعرف على جوانب هذه الحياة بعيداً عن الدور الذي تؤديه الشخصية في القصة، حيث إن أحداث القصة تستحوذ على جل فكرنا و انتباهنا. أما النوع الآخر من الشخصيات فهو النوع الذي وصفه هنري جيمس بلفظ "ficelles" (الكلمة الفرنسية التي تعني الخيط الرفيع)، و ينحصر دورها في ربط أطراف الأحداث بعضها ببعض.

فلا تثير الحياة الخاصة لهذا النوع من الشخصيات اهتمام القارئ من قريب أو بعيد. إلا أن هذا لا ينفي أن مثل هذه الشخصيات - التي لا مغزى لحياتها الشخصية كأفراد - تلعب دوراً هاماً في البنية الفنية للحبكة وفي إبراز المغزى الأساسي للقصة.

ومن أبرز الأمثلة على هذا النوع من الشخصيات شخصية قريب زوجة العزيز الذي أدى دور الشاهد في صراعها مع يوسف (عليه السلام). فبالإضافة إلى دوره في ربط أجزاء الحدث بعضها ببعض (عن طريق إثبات براءة يوسف) فإن هذه الشخصية أسهمت أيضاً بشكل ملموس في التمهيد لتحقيق الهدف الديني للقصة وهو الهدف الجوهري الذي اتضح عند نهايتها. ومع أهمية الدور الذي قامت به هذه الشخصية فلقد تلخص هذا الدور بإيجاز بليغ في جملة واحدة:

«قَالَ هِيَ رَأَوْنَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ ثُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّائِقِينَ.» * xlv

(من الآية ٢٦، ٢٧، سورة يوسف)

إن هذه الشهادة غير المتوقعة لصالح يوسف (عليه السلام) أسهمت بفاعلية في إيضاح الموقف، وأثبتت زيف اتهام زليخة له. فلو لم يكن هذا الشاهد موجوداً (والذي كان وجوده طبيعياً بحكم قرابته من زوجة العزيز) لكان الاحتمال الأكبر أن تعمى بصيرة العزيز بما يكنه من عاطفة واضحة لزوجته. ولو حدث هذا لتغير المسار العام للقصة. وعلى الرغم من أن شهادته لم تنقذ يوسف (عليه السلام) من السجن إلا أنها - على الأقل -

أقنعت العزيز ببراعته (عليه السلام) ، حيث أعلن عن هذه القناعة صراحة. وقد اتضح فيما بعد أن هذه التبرئة العلنية كانت مقدمة ضرورية ومنطقية لبلوغ النهاية السعيدة لقصة المعاناة الطويلة ليوسف (عليه السلام) بصورة واقعية ومقنعة.

ومن الشخصيات التي تنتمي إلى هذا النوع المسمى (ficelles) نجد الشخصيات التي تظهر مرة واحدة فقط (إلا شخصية واحدة ظهرت مرتين في القصة على نحو استثنائي) فتؤدي المهام المحددة لها ثم تختفي فلا تظهر بعدها أبداً. ومن هذه الشخصيات شخصية التاجر الذي وجد يوسف (عليه السلام) في البئر (في بداية القصة) وأخفاه ثم باعه عبداً مملوكاً في سوق الرقيق. وتلعب هذه الشخصية دوراً هاماً إذ إنها تربط بين مرحلتين متناقضتين في حياة يوسف (عليه السلام) - الشخصية المحورية في القصة. فهذه الشخصية تربط بين المرحلة الأولى التي كان يتمتع فيها بالحرية والحياة الكريمة، ابناً لنبي من أنبياء الله الصالحين (عليهم السلام) ، والمرحلة الثانية التي أصبح فيها عبداً مملوكاً لشخص لا يؤمن بالله سبحانه وتعالى. وعلاوة على هذا الدور الهام فإن إسهام هذه الشخصية في نقل يوسف (عليه السلام) من حياة الحرية إلى حياة العبودية هو مقدمة لسلسلة الأحداث التي تتألف منها الحكمة.

ثم نأتي للسجينين اللذين رافقا يوسف (عليه السلام) خلال الفترة التي قضاها في السجن. فظهور أحدهما مرتين في القصة أمر تبرره حيوية الدور الذي يؤديه ، وأهميته للبنية الفنية للقصة. فالدور الأساسي الذي يلعبه هو بمثابة الجسر الذي يربط بين مرحلة الهوان التي عاشها يوسف (عليه السلام) في السجن وبين المرحلة الأخيرة من مراحل حياته في القصة،

رحلة العز والمهابة والسلطان. أما شخصية رفيقه الآخر فى السجن فهي سهم فى دعم و تعزيز إدراك القارئ لمدى علم يوسف (عليه السلام) تأويل الرؤى، هذا العلم الذي حباه به المولى جل وعلا، والذي كان بمثابة وسيلة التي مكنته من عبور ذلك الجسر. و آخر الشخصيات التي تنتمي إلى ذا النوع، والتي تظهر مرة واحدة ثم تتوارى عن المشهد فلا نراها ثانية، هي شخصية الموظف المصري الذي أعلن عن سرقة صواع الملك. فبعد أن أ بالبحث عنه في أمتعة الإخوة الأكبر سناً أخرجه من متاع الأخ الأصغر. كمن أهمية دور هذه الشخصية في منح يوسف (عليه السلام) مبرراً مقبولاً لتجز أخاه الأصغر لديه. فالدور الذي تؤديه هذه الشخصية هو دور أساسي فيه القصة بسلسلة نحو النهاية المقدرة لها. أما بالنسبة للأخ الأصغر سف (عليه السلام) فهو حالة خاصة في حد ذاته، فهو لم يظهر في القصة ي مرة واحدة، لم ينبس فيها ببنت شفه، ولم نعلم بوجوده إلا من خلال بة الكريمة التالية:

"وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ
كَأَنَّا يَعْمَلُونَ".^{xlvi}

(الآية ٦٩ سورة يوسف)

عدم وجود تواصل مباشر بين القارئ وهذه الشخصية لا يقلل من أهمية ر الذي تلعبه في القصة. فهذا الدور — كما يظهر من سياق الآيات يمة — إنما كان من تدبير الله العزيز القدير ليتحقق به قدر الله، وتتم مة كما تقتضي مشيئته سبحانه وتعالى. إضافة إلى ذلك فإن شخصية الأخ مفر تأتي بمثابة خلفية الصورة التي تعمل على تعميق شعور القارئ

بمعاناة يوسف (عليه السلام) أعواماً طويلة من الظلم والابتلاءات والمحن، ثم بعد ذلك بالنصر المبين الذي أعزه الله تعالى به في خاتمة المطاف.

و بخلاف الشخصيات المسماة (ficelles) — التي ترتبط أساساً بالمعالجة الفنية للقصة — فإن بقية الشخصيات الثانوية تسهم إسهاماً غنى عنه في الحدث المسرحي. إلا أن مشاركتها الفعلية في صنع الحدث تلقي أية أضواء على حياة الأفراد الشخصية أو على الجوانب الأخرى من شخصياتهم التي لا ترتبط بالدور المحدد لكل منها في القصة. و من أهم الشخصيات شخصية عزيز مصر، حيث أن تصرفه غير الحكيم قد ساهم إلى حد ما وبشكل غير مباشر في إيجاد الموقف العصيب بين زوجته و يوسف (عليه السلام). فرغم أن العزيز ليس من الشخصيات الرئيسية إلا أنه يلعب دوراً لا يمكن تجاهل أهميته في دفع عجلة الأحداث. إن تصوير الشخصية بتلك الدقة والواقعية — رغم المساحة الصغيرة المخصصة في القصة — يثير الدهشة والإعجاب. وتذكرنا هذه الشخصية بمف جورج ساند للشخصية النموذجية في الأدب الراقي:

الشخصية الواقعية للإنسان، فهو ليس كياناً من الخير البحث أو الشر البحث ولكنه شيء آخر... إنه خليط من الخير والشر يمتلك قوة داخلية تدفعه ليكون إما شريراً جداً مع مقدار ضئيل من الخير أو أن يكون فرداً خيراً جداً مع مقدار قليل من الشر. ^{xviii}

يظهر العزيز لأول مرة في القصة بعد شرائه ليوسف (عليه السلام) في سوق الرقيق. وكان التجار الذين وجدوه قد عبروا عن ابتهاجهم بالعثور عليه ظناً منهم أنهم سيجنون من وراء بيعه ثروة طائلة لما يت

(عليه السلام) من بهاء الطلعة (إضافة إلى ما تتسم به شخصيته من فضائل خلقية لا بد أن يكونوا قد لمسوها من خلال التعامل معه). إلا أنهم "شروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين"^{xlix} كما تنص الآية الكريمة؛ مما يعطينا الانطباع بأن العزيز لا بد أن يكون قد ساومهم بصورة مجردة من الضمير والمبادئ الخلقية، وإلا لما تخلوا عن أحلامهم بالثراء بهذه السهولة. إن صورة العزيز كشخص تتقصه المبادئ تثبت لنا بمجرد تأملنا فى عملية شرائه ليوسف (عليه السلام) فى حد ذاتها. فهو شخص من صفوة المجتمع المصري المتحضر فى ذلك الحين، والمتوقع أن يكون قد تعرف بطريقة أو بأخرى على الظروف المؤسفة التي قادت الفتى إلى سوق الرقيق، حيث تم بيعه. ومع هذا فقد استباح لنفسه أن يستعبد شخصا حرا نبيلًا بأقل ثمن ممكن لا لشيء سوى لتحقيق أغراضه الشخصية، مما يدل على أن شخصية العزيز تتسم بالأنانية، و الجشع بالإضافة إلى قدر كبير من خداع الذات. إلا أنه على الرغم من ذلك لا يتصف بالشر المطلق، وخير دليل على ذلك أنه عندما قدم يوسف (عليه السلام) لزوجته طلب منها أن تكرم مثواه، أي تجعل إقامته كريمة ومريحة وطيبة. بل إنه أشار إلى إمكانية تبنيه فى المستقبل ليكون لهما ابنًا. و لقد ثبت صدق كلماته، وحسن نيته على الرغم من أنه — لسبب ما — لم يتبن يوسف (عليه السلام)، وذلك من خلال معاملته الطيبة للفتى حتى غدا شابًا، وتنشئته تنشئة حسنة كما لو كان ابنًا له ؛ الأمر الذي أكدته كلمات يوسف عليه السلام عندما تعرض للإغراء من قبل زليخة بعد أن عاش سنوات عدة فى بيت العزيز متمتعاً برعايته وحنوه الأبوي.

"... قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ. * "

(الآية ٢٣ سورة يوسف)

ظهر العزيز للمرة الثانية والأخيرة في نزوة الحدث، في المشهد الذي اكتشف فيه خيانة زوجته. وقد دل تصرفه في ذلك الموقف على أنه شخص مهذب وعادل إلى حد ما، ولكنه أظهر في ذات الوقت أنانيته وقدرته على خداع النفس، وحرصه الشديد على إرضاء زوجته الخائنة مهما كان الثمن. فحتى بعد أن تثبت من براءة يوسف (عليه السلام) و جرم زليخة (من خلال شهادة قريبها)، فهو مازال يحاول إيجاد الذرائع والمبررات لسلوكها الشائن؛ فنراه يشير إلى هذا السلوك كأنه نوع من أنواع العبث والمزاح اللطيف والمتوقع من سائر بنات حواء.

"فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ. * "

(الآية ٢٨ سورة يوسف)

إلا أنه استأنف على نحو أكثر حزمًا مع زوجته، مُظهرًا المزيد من الاهتمام بالأمر، مما يعكس احترامه — على الأقل — للأعراف والتقاليد، فخاطب يوسف بلطف قائلاً:

"يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ. * "

(الآية ٢٩ سورة يوسف)

ويتطابق سلوكه في هذا الموقف مع الصورة الماثلة في أذهاننا عن شخصيته. فلقد برأ يوسف (عليه السلام) تماماً من التهمة الباطلة التي حاولت زليخة إلصاقها به لقناعته التامة بسلامة سريرته و طهارته، واكتفى بأن التمس منه برفق عدم إذاعة الأمر خوفاً من حدوث فضيحة اجتماعية.

ويرى بعض المفسرين أن الآية تتضمن معاني أخرى ذات مغزى عظيم، فكلمات العزيز فى ذلك الموقف تمثل لبعض المفسرين اعتذاراً لبقاً ليوسف (عليه السلام) عن الإيذاء النفسى والاجتماعى الذى لحق به بسبب سلوك زليخة المنحل، و يضيف البعض الآخر إلى هذا المعنى معاني أخرى يستوحونها من توجيه العزيز خطابه لزوجته بعد مخاطبته ليوسف عليه السلام مباشرة. فهذا الأسلوب — طبقاً لرأى هؤلاء المفسرين — ينطوي على حث العزيز لزوجته أن تعتذر ليوسف (عليه السلام) عن الخطأ الذى ارتكبته فى حقه بمحاولة إغوائه ثم بالإصاق التهمة الباطلة به.¹¹¹ إن تفسير الموقف بهذه الطريقة يؤكد تحلى العزيز بصفة العدل إلا أنه لا ينفي جوانب الضعف فى شخصيته، التى لا جرم قد أسهمت بشكل كبير فى سرعة انحدار زوجته أخلاقياً.

هذا هو الظهور الأخير للعزيز فى القصة، إلا أننا لا نلث أن نحاط علماً بخضوعه لإرادة الآخرين، وقبوله لقرارهم الذى يقضى بسجن يوسف (عليه السلام) على الرغم من قناعته التامة ببراعته، و هذا التبدل فى موقفه يتماشى تماماً مع ما نعرفه عن شخصيته كرجل لا يتصف بالفساد الخلقي إلا أنه لا يملك العزيمة الكافية للدفاع عن مبدأ أخلاقى. وهكذا فإن الكلمات القلائل الموجزة التى تصف شخصية العزيز بصورة حيوية لا تسهم فى الكشف عن شخصيته وقصته فحسب، بل تلقى أضواء جانبية على قصة زوجته، وعلى ذروة الأزمة العاطفية التى مرت بها ثم على تطور شخصيتها، إضافة إلى بعض العوامل ذات المغزى التى ساهمت فى تقرير مصيرها.

ومن الشخصيات الثانوية في القصة التي ينحصر دورها — رغم أهميته — في ارتباطه بأحداث قصة زوجة العزيز فقط، أولئك النسوة اللاتي أصابهن جمال يوسف (عليه السلام) وبهاؤه النادر بالذهول إلى درجة أنهن قطعن أيديهن وهن لا يشعرن بالألم (انبهاراً بجماله الخلاب).^{١٧} وتظهر هؤلاء النسوة — شأنهن شأن زليخة — في ثلاثة مشاهد لا يستغرق الأول والثالث منها أكثر من بضع دقائق إلا أن كلا منهما حافل بالمعاني. ففي المشهد الأول يظهرن منهنمكات في ثرثرة موضوعها العاطفة الجارفة التي غمرت قلب زليخة تجاه فتاها، ومحاولتها الحمقاء إغواءه. هذا المشهد الذي جاء في آية واحدة يعطي صورة واضحة عن الحياة الاجتماعية لطبقة المجتمع النسائي الراقي في مصر آنذاك.^{١٨} فنساء هذه الطبقة ابتلين بنعمة الفراغ، وحيث لم يكن لديهن أي شيء جاد أو هام لشغل ذلك الفراغ، فقد عمدن إلى ملء أوقاتهن بالأخبار المثيرة و الثرثرة، و نشر الإشاعات والفضائح الاجتماعية عن بعضهن البعض، وذلك مع إدعائهن الكاذب التحلي بالاحتشام والاستقامة.

"وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا

فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ. * (الآية ٣٠ سورة يوسف)

ولهذه الثرثرة الحاقدة وظيفتان لا غنى عنهما في سياق القصة، فهي السبب غير المباشر في تبرئة يوسف (عليه السلام)، وظهور صدقه وطهارته، حيث إنها كانت الدافع الذي أثار زليخة، وحثها على الاعتراف بإغوائها له تحدياً للنسوة اللاتي اغتبنها. ومن الجانب الآخر فإن هذه الثرثرة هي نفسها التي أدت بطريقة غير مباشرة إلى النتيجة العكسية، ألا وهي

دخوله السجن رغم ثبوت براءته. إذ أنها كانت العامل الذي أدى إلى زيادة الموقف تعقيداً ومن ثم إلى اتخاذ الرجال القرار بإبعاد يوسف (عليه السلام) لفترة عن حياة نسائهم.

أما الظهور الثاني للنسوة فى القصة فقد كان فى بيت العزيز، فى الحفل الذي دعتهن إليه زليخة لتكشف عن حقدهن ونفاقهن. ومع أن هذا المشهد المثير مفعم بالمعاني الخفية والدلالات والإيحاءات، إلا أنه جاء فى إيجاز بليغ فى الآيتين التاليتين:

"قَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكَنًا وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا

وَقَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّهِنَّ، قَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ

هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ. * قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ، وَلَقَدْ رَاودَتْهُ عَنِ نَفْسِهِ فَوَسَّوْا لَهُ أَفْوَاجًا

وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ أُسْرِفُوا مِنْ أَهْلِكُمْ عَيْنًا

(الآيتان ٣١، ٣٢، سورة يوسف)

يلقى هذا الوصف البليغ للمشهد ضمناً الضوء على الوسط الاجتماعي الذي كانت تعيش فيه أولئك النسوة التافهات، والذي كان يسوده الترف والتكلف والإسراف، حيث كن يتقلبن فى النعم وينغمسن فى الملذات. وهكذا فإن هذا المشهد يوضح الأثر السلبي للبيئة الاجتماعية الفاسدة التي عاشت فيها زوجة العزيز، والتي أسهمت بشكل واضح فى تشكيل شخصيتها. فبفضل العبارات الموجزة الواردة فى الآيتين المحكمتين يتمكن القارئ من

تخيل مجموعة السيدات وهن متكئات على الأرائك الوثيرة مستمتعات بشعور الاسترخاء الذي عادة ما يعقب متعة تناول الأطعمة الشهية على الموائد الفاخرة في المجتمعات المولعة بالترف، هذا الشعور الذي يدعمه الاستمتاع بالحلوى أو الفاكهة التي تقدم كالعادة بعد الطعام الفاخر. فلنا أن نتخيلهن وهن على وشك تقطيع الفاكهة بالسكاكين الحادة التي أعطتهن إياها ربة البيت الماكرة — لغرض ما في نفسها — وفجأة يجدن أنفسهن وجهاً لوجه أمام يوسف عليه السلام الذي خرج لهن بناء على أوامر سيده. إن الظهور المفاجئ ليوسف عليه السلام بحسنه وبهائه كان لابد أن يؤدي بمثل هؤلاء النسوة إلى الانبهار بجماله المذهل حتى أنهن قطعن أيديهن بلا وعي بدلاً من تقطيع الفاكهة.

من الواضح أن الكلمات القلائل (الواردة في الآية رقم (٣١) التي عبرت عن دهشة السيدات لدى رؤيتهن ليوسف (عليه السلام) ليست هي كل ما نطقن به في ذلك الموقف، كما أنهن بالطبع لم ينطقن بهذه الكلمات بصوت واحد أو علي نحو جماعي. إنما هو الأسلوب القرآني المحكم الجامع الذي يعطي القارئ نماذج من شأنها أن تمكنه من تخمين ما لا يراه (من خلال ما يراه)، ومن تتبع ما تتضمنه الأحداث من معانٍ خفية، ومن الحكم علي الموقف ككل من خلال الأمثلة المعطاة،^{lviii} وهذا هو الأسلوب الذي يتميز به الفن الروائي الراقي الحديث، وهو الأسلوب الذي أشار إليه هنري جيمس في كتابه (فن القصص الخيالي). إننا نرى في هذا الموقف ردة الفعل لبعض أولئك النسوة اللاتي قد يصل عددهن إلى اثنتين أو ثلاث سيدات. فربما صرخت إحداهن مذهولة : (حاش لله)، وعبرت للثانية عن دهشتها بقولها: (ما هذا بشراً!)، بينما انسابت الكلمات من شفتي الثالثة معبرة عن قناعتها

(إن هذا إلا ملك كريم). وهكذا تعبر هذه الكلمات عن نماذج لردة فعل بعض هؤلاء النسوة. وقد أطلق أحمد بهجت لمخيلته العنان في وصفه لهذا المشهد مصوراً يوسف (عليه السلام) المطيع لسيدته وهو يقوم بتضميد جراح السيدات، الأمر الذي أدى إلى استثارة النسوة إلى درجة الذهول بسبب قربه عليه السلام الشديد منهن، وملامسة يده لأيديهن، حتى أنهن تجاوزن مرحلة التعبير بالكلمات عن اندهاشن وإعجابهن إلى الإغواء الوقح والإغراء المنافي للحياء.^{lix}

إن كلمة واحدة (في اللغة العربية) بل حرفاً وأحداً في الآية التالية يتضمن معنى الإغواء والفسوق الجماعي للنسوة في المشهد السابق، والذي لا يتلاءم وصفه صراحة مع قداسة النص القرآني الكريم وطهارته. فبعد تهديدات زليخة السافرة نجد يوسف (عليه السلام) يدعو ربه القدير متضرعاً أن يصرف عنه "كيدهن"^{lx} وليس "كيدها" كما كنا نتوقع، مما يشير إلى مدى تأثرهن بجمال يوسف (عليه السلام) الذي خلب ألبابهن، وأفقدن القدرة على التفكير السليم، بحيث لم يتورعن عن مشاركة مضيفتهن في الأمر الذي لمنها عليه من قبل، فانضممن إليها في مطاربتها المسعورة ليوسف (عليه السلام). ولكن الانتصار الذي حققته زوجة العزيز في كشف النفاق الذي اتسم به موقف أولئك النسوة الفاسقات شجعها للأسف الشديد على التردى في الرذيلة أكثر فأكثر. فلقد شجعها انحلالهن الخلقي وفسادهن الجماعي على الاعتراف علانية بمحاولاتها الفاشلة لإغواء يوسف (عليه السلام). ليس هذا فحسب، بل لم تعد تخجل من تهديده علناً وبصورة متبجحة فاضحة، بالسجن والإذلال إن لم يخضع لرغباتها الفاسقة. وتنتهي الآية التالية — التي تسهم في دفع

عجلة الأحداث خطوات عدت — إلى الأسلوب الحكيم الذي انفرد به القرآن الكريم، أسلوب "جوامع الكلم"، والمتمثل في استخدام كلمات قليلة منتقاة للكشف عن معاني جمة:

"ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَجُتُّهُ حَتَّىٰ حِينٍ. * " (الآية ٣٥ سورة يوسف)

إن تصرف الرجال حيال الموقف — رغم قناعتهم باستقامة يوسف عليه السلام بعد ما رأوه من آيات تدل على شرفه وبراءته — يثبت أن شخصياتهم لا تختلف في قليل أو كثير عن شخصيات رجال الطبقة التي ينتمون إليها ؛ فهم جميعاً غير قادرين على ضبط نسايتهم، ولذلك كان من المتعذر عليهم السيطرة على الموقف ووضع حد للفضى الشديدة التي تسبب في ظهورها في حياتهم وجود هذا الشاب بحسنه وبهائه الخلاب. ومن ثم فقد اتخذوا قراراً جماعياً ظالماً بسجن الشاب البريء دونما سبب سوى إيعاده عن أنظار نسايتهم، اللاتي لا يملكون وسيلة لكبح جماحهن، وذلك حتى تهدأ عواطفهن. وهكذا يتضح للقارئ مدى عدم مبالاة تلك الطبقة الاجتماعية المستبدة بمصائر الأبرياء الذين كثيراً ما يفرض عليهم أن يدفعوا ثمن جرائم الآخرين.

ثم ظهرت النسوة للمرة الأخيرة في القصة حين أمر الملك بالتحقيق معهن، فظهرن في هذا المشهد في صورة مغايرة لظهورهن السابق، حيث إنهن قد تخلصن من النزوة الوقتية المتهورة التي سلبت عقولهن أثناء الحفلة التي أقامتها لهن زوجة العزيز. فلا يوجد لديهن سبب الآن لاتهام الشاب البريء الذي لم يتسبب في أي أذى لهن. وبشهادتهن لصالح يوسف (عليه

السلام) — التي اقتضتها العناية الإلهية — انتهى دورهن فلم يظهرن في القصة بعد ذلك.

وآخر الشخصيات الثانوية التي تنتمي إلى هذا النوع، هي شخصية الملك. فالدور الذي تؤديه هذه الشخصية — شأنها شأن نظرائها — هو دور أساسي لا غنى عنه لإتمام وحدة القصة، حيث تسهم إسهاماً فاعلاً في ربط مرحلتين أساسيتين ومتناقضتين في حياة يوسف (عليه السلام). فشخصية الملك هي إحدى الوسائل الفنية التي ساعدت على نقل يوسف (عليه السلام) بطريقة تلقائية من مرحلة السجن — و ما تعرض له خلالها من معاناة وهوان — إلى المرحلة التي نال فيها العز والسلطان وشرف المقام بتوليته المنصب الرفيع في الجزء الأخير من القصة. و لكي تؤدي هذه الشخصية الدور المناط بها بطريقة مقنعة كان لابد من إدخالها في أحداث قصة يوسف- التي لا تعني الملك من قريب أو بعيد- بأسلوب سلس و منطقي. ومن ثم ظهرت الرؤيا المبهمة والمنذرة بالشر، الأمر الذي دعا الملك إلى البحث عن تفسير لها.

وإذا ما تبعنا نصيحة فورستر للقارئ الحذق بالتذكر الدائم لأحداث القصة من البداية إلى النهاية، وذلك من أجل الاستمتاع بالحكمة الفنية المترابطة، وتقويمها تقويماً سليماً^{lxii}، فعلى أن نتذكر ما أشارت إليه الآيات الكريمة في بداية قصة يوسف (عليه السلام) من أن المولى عز وجل يجتبيه ويعلمه من تأويل الأحاديث نعمة منه وفضلاً. وقد كان هذا العلم هو السبب في التواصل بين الملك ويوسف (عليه السلام). وقد اتخذ هذا التواصل طريقه في القصة بصورة طبيعية، حيث حدث التعارف بينهما كنتيجة تلقائية

لعلاقة الملك بالساقى من جهة، وعلاقة الساقى برفيقه القديم الذي أمضى معه فترة في السجن، من الجهة الأخرى. وكان من الطبيعي أن تتساقب الأحداث بعد ذلك بتتابع منطقي سلس بدأ من تفسير يوسف (عليه السلام) لرؤيا الملك الذي أعاد التحقيق في القضية وصولاً إلى تمكينه (عليه السلام) من السلطة، ووضعه في المكان اللائق به، ثم إلى إنقاذ مئات الأرواح البشرية من أثار الدمار الذي كان من الممكن أن تسببه المجاعة لو لم يتم اللجوء إلي يوسف (عليه السلام) لتفسير الرؤيا المنذرة بالقدر المحتوم. وهكذا فإن تلاقي ثلاثة أحداث كانت منفصلة (السجن الجائر ليوسف عليه السلام، ورؤيا الملك المنذرة، واعتراف زليخة غير المتوقع)، والتحام هذه الأحداث مع بعضها البعض قد أدى إلى الوصول إلى حل العقدة الأساسية في القصة بطريقة فعالة للغاية، وهذه هي الخطوة الأولى التي أدت إلى ظهور الحل النهائي لسائر العقد الأخرى.

(٣)

ونصل أخيراً إلى شخصية يوسف (عليه السلام)، وهي الشخصية المحورية التي يرتبط تطورها ارتباطاً جوهرياً بتطور الحكمة ذاتها. فشخصية يوسف (عليه السلام) تربط سائر العناصر الفنية المختلفة في القصة بعضها ببعض. فأحداث القصة منذ البداية وحتى نهايتها تجسد جوانب شخصيته (عليه السلام) بطريقة مقنعة وواقعية، ليس فقط من خلال سلوكه الشخصي بل أيضاً من خلال تسلسل الأحداث، ويشمل ذلك بالطبع سلوك وتصرفات الشخصيات الأخرى. يلاحظ القارئ أن مرحلة نموه تسير باتجاه مواز للترتيب الزمني لتطور الأحداث، وصولاً إلى ذروة الحدث في القصة

الترابط التكاملى بين الحكمة والشخص فى قصة

فكر وإبداع

يوسف (عليه السلام) فى القرآن الكريم

ترجمة إلى اللغة العربية

التي تتزامن مع ذروة الابتلاء فى حياته، والتي يليها الاتجاه نحو النهاية بالنسبة لتطور كل من القصة والشخصية على السواء. ففي الوقت الذي تحل فيه سائر العقد فى الحكمة تصل شخصية يوسف (عليه السلام) إلى قمة النضج والإدراك.

يتضح للقراء منذ أن تطالعهم شخصية يوسف (عليه السلام) فى مستهل القصة أنه سيكون له شأن عظيم، وأن مسيرة حياته ستدعمها المعجزات الربانية. هذا ما تؤكدته الرؤيا التي رآها والتي افتتحت بها القصة (والتي ليس من السهل على العقل البشري تصورها، فما بالنا بصبي فى مستهل عمره) . فتلك الرؤيا والأسلوب الحاسم الذي يقصها به على أبيه، يبشران بمستقبله العظيم وينبئان عن المقدرة العقلية الفريدة والسمو الروحاني المميز اللذين تتصف بهما شخصيته عليه السلام

"إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ

لِي سَاجِدِينَ. * lxiii (الآية ٤؛ سورة يوسف)

تُظهر الآية الكريمة مدى وضوح تفاصيل الرؤيا فى ذهن الصبي وفى نفس الوقت مدى حاجته للاسترشاد بحكمة أبيه عليه السلام لما يتمتع به من بصيرة الأنبياء، من أجل إدراك فحوى هذه الرؤيا. بعد هذه البداية الرائعة حجب عنا شخصية يوسف (عليه السلام)، فلم يظهر بشخصه الكريم إلا بعد عدة سنوات؛ فى المشهد الذي أظهر فيه ثباتاً على مبادئه بصدده محاولات زليخة لإغرائه وإغوائه. إلا أن حجب يوسف (عليه السلام) عن القراء لم ينجم عنه انقطاع صلتنا به، فهو دائم الحضور كشاب ناشئ تأسر شخصيته

قلوب كل من قدر له أن يلقاه. ونظل على صلة بهذه الشخصية — رغم غيابها عن الساحة لفترة — من خلال سلوك الشخصيات الأخرى، ومن خلال الأحداث المتتالية التي تشير بصفة دائمة — بشكل مباشر وغير مباشر — إلى تطور شخصيته المستمر، مؤكدة تميزه في المظهر والجوهر معاً. ومن خلال تلقي يعقوب (عليه السلام) للرؤيا (في مستهل القصة) نستشف أن يوسف (عليه السلام) سيكون له شأن عظيم في المستقبل، وأن الله العليم الحكيم سيعلمه تأويل الرؤى، ويتم نعمته عليه، ويمنحه الحكمة والمقدرة على فهم المغزى العميق لما خلقه الله تعالى من آيات في الكون العظيم:

"وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ، إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ." * lxiv

(الآية ٦ سورة يوسف)

إن الإشارة إلى أنبياء الله إبراهيم وإسحاق في كلام يعقوب (عليهم السلام) في الآية السابقة لم ترد بمحض الصدفة، بل إنها إشارة إلى مستقبل يوسف (عليه السلام) كأحد أنبياء الله تعالى المصطفين الأطهار، كما أنها إشارة في الوقت نفسه إلى المحن والابتلاءات التي سيمر بها قبل أن ينال المكانة الرفيعة والدرجات العلى التي قدرها الله سبحانه وتعالى له.

ومنذ بداية القصة يتضح إخلاص يوسف (عليه السلام) وسلامة نيته من خلال قبوله لدعوة إخوته للذهاب معهم في نزهة بغرض الترفيه. فلم يراوده أدنى شك حيال نواياهم رغم تحذير والده له، عندما قص الرؤيا عليه، بأنه من الممكن أن يتعرض للأذى على أيدي إخوته إذا ما علموا بشأن ما رآه في

الترابط التكاملي بين الحكمة والشخص في قصة

يوسف (عليه السلام) في القرآن الكريم

فكر وإبداع

ترجمة إلى اللغة العربية

منامه. لم تفصح الآيات الكريمة عن موقف يوسف من نصيحة والده الحكيم (عليهما السلام)، ومدى التزامه الصمت بشأن الرؤيا. إلا أن كتاب (العهد القديم) وهو الكتاب المقدس لدى اليهود و المسيحيين ورد فيه أن يوسف (عليه السلام) ربما يكون [بسبب طيش الصبا، وطبيعته التي تتسم بسلامة النية] قد قص ما رآه على إخوته.^{lxv} قد يفسر هذا الثورة المفاجئة لغيرة الإخوة وحسدكم، الأمر الذي أدى إلى تأمرهم جميعاً على أخيه الأصغر وتخطيطهم بحقد للتخلص منه بعد أن تحملوا وجوده في حياتهم لمدة سبع عشرة سنة. كما انه يؤكد واقعية شخصية يوسف (عليه السلام) فعلى الرغم من سمو خلقه الذي لا يرقى الشك إليه فإنه بشر يصيب ويخطئ، فضلاً عن حداثة سنه التي تعزز إمكانية وقوعه في أخطاء صغيرة. إن التجربة المريرة التي مر بها في البئر المهجورة، والمحنة التي تبعثها ببيعه عبداً في سوق الرقيق يمكن اعتبارها من المنظور الفني للقصة، نتيجة طبيعية لسلوكه في حالة ثبوت عدم تنبئه لأهمية تحذير والده له. وهذا بدوره يجعل شدة معاناة يوسف (عليه السلام) مطابقة للمصير الأساوي للأبطال النبلاء في الأدب الكلاسيكي الذي يحدده، — إلى حد ما — ما اقترفته أيديهم من أخطاء صغيرة قد يقع فيها خيرة البشر.^{lxvi}

و يشار مرة أخرى بطريقة غير مباشرة إلى ما تتميز به شخصية يوسف (عليه السلام) من نقاء روحاني و سمو خلقي من خلال السعادة التي شعر بها التجار الذين وجدوه، والذين ترتبط في أذهانهم قيمة الشيء بمقدار المبلغ المالي الذي يساويه، فلقد أدركوا أنهم عثروا على كنز ثمين. وهذا الانطباع الذي نستشرفه من شعورهم بالابتهاج عند عثورهم عليه هو ذاته

الانطباع الذي يتولد لدينا من خلال إدراك العزيز فوراً لقيمة يوسف (عليه السلام) ليس فقط كصفقة رابحة وإنما كشخص جدير بأن يكون ابناً له عن طريق التبني. إن الكلمات المعبرة ذات المغزى العميق التي تفاجئنا الآية التالية بها (في نفس اللحظة التي يبدأ يوسف (عليه السلام) حياته فيها كعبد مملوك لرجل لا يؤمن بالله)، لتؤكد ما يدخره الله سبحانه وتعالى له من علم و حكمة، وتوحي بأن المحنة التي يمر بها يوسف (عليه السلام) إنما هي محنة وقتية، وأنه سيعقبها فرج ونعم لا حصر لها من الله القوي العزيز الذي لا يعجزه شيء.

"... وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ
وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ

وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ. * ^{lxviii} (من الآية ٢١ سورة يوسف)

أما الآية المحكمة التالية فتعبر بأسلوب القرآن الكريم الجامع عن معان عدة، فتؤكد في مجملها أن تميز يوسف (عليه السلام) بالمعرفة في ميادين شتى، وبالحكمة وبصواب الرأي في النواحي الروحانية والأخلاقية والسلوكية والفكرية والاقتصادية وغيرها من المعاني العديدة التي تتضمنها بإيجاز بليغ كلمتا (حكماً وعلماً) إنما هو هبة أنعم الله تعالى بها على عبد من عباده المخلصين ثواباً من عند الله، جزاء على حسن خلقه وإحسانه وأعماله الصالحة، وما يتمتع به من رحمة وتسامح وشهامة وغيرها من الصفات الرفيعة التي تم التعبير عنها بإيجاز وإحكام من خلال الكلمة الجامعة (المحسنين):

"وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. * ^{lxviii}

(الآية ٢٢ سورة يوسف)

الترباط التكاملى بين الحبكة والشخص فى قصة

يوسف (عليه السلام) فى القرآن الكريم

فكر وإبداع

ترجمة إلى اللغة العربية

ولهذه الآية الموجزة وظيفه أخرى تخدم من خلالها البنية الفنية للقصة، فهي بمثابة الجسر الذي يربط سلوك يوسف (عليه السلام) في الماضي بمصيره في المستقبل، مروراً بالشدائد التي يعانيتها في الحاضر للدلالة على أن هذه المحن سرعان ما ستزول. إن ظهور الكلمات التي تؤكد هذا المعنى مباشرة قبل أن تنزل علي الشاب النقي سلسلة جديدة من المحن والبلايا القاسية ينبئ عن ثبات مقاومته وقوة تحمله لها، وسلوكه القويم الذي سوف يكسبه رضا الله سبحانه وتعالى فينشر له من رحمته، ويسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة.

وهذا السمو الخلقي الذي يتسم به يوسف (عليه السلام)، والذي كان يشار إليه بإيحاءات خفية ومعانٍ متضمنة في الآيات الكريمة، يظهر لنا واضحاً صريحاً في موقفه الراسخ وسلوكه النبيل خلال التجربة العصبية التي مر بها مع زوجة سيده. لقد سبق توضيح روعة تصوير هذا الموقف في هذا البحث أثناء تحليل شخصية زليخة، وعند عرض الظروف والملابسات التي أدت إلى وجود شخصين مثل يوسف (عليه السلام) وزليخة تحت سقف واحد رغم الفوارق الشاسعة بينهما في كل المجالات، في البيئة التي نشأ فيها كل منهما، وفي المعتقدات والتقاليد، وأساليب الحياة. وعلى الرغم من أن هذا الموقف يجسد السمو الخلقي الذي يميز شخصية يوسف (عليه السلام) إلا أنه يؤكد في الوقت نفسه طبيعته البشرية، وحتمية ظهور بعض جوانب الضعف التي جبل عليها البشر. لقد اتفق المفسرون على أن كلمة (هَمَّتْ) في حالة زليخة تشير بالفعل إلى محاولتها المقصودة لارتكاب الخيانة الزوجية.

إلا أنهم اختلفوا بصدد معنى كلمة (هم) في حالة يوسف (عليه السلام)، إذ إن هذه الكلمة هي لفظ مرن يحتمل عدة معانٍ.

يقول أحمد بهجت أن بعض مفسري القرآن الكريم رأوا أن يوسف (عليه السلام) كان على وشك الاستجابة للإغراء الشديد الذي تصعب مقاومته إلا أن الله تعالى منّ عليه بالبصيرة التي مكنته من رؤية برهان ربه سبحانه، واستشعار وجوده معه ومراقبته له، وتذكر نعمه التي لا تحصى عليه، مما حماه من الوقوع في الإثم ونجاه من خسران نفسه وهلاكها. ولكن هذا التفسير غير مقبول إذ أنه لا يتفق مع ما يميز أنبياء الله المصطفين من طبيعة بشرية سامية تعصمهم من الزلل. أما البعض الآخر من المفسرين — ومنهم أحمد بهجت نفسه — فإنهم يرون أن التعبير القرآني هنا هو استخدام بلاغي للغة بالتقديم والتأخير لتأكيد المعنى المقصود ضمناً، ألا وهو أنه كان من الممكن أن يفتن يوسف (عليه السلام) بها لولا أنه حَفِظَ بالبصيرة التي منّ الله تعالى بها عليه (فكان الآية الكريمة — كما أوضح القرطبي — تقول: لولا أن رأى برهان ربه لهمّ بها ولكنه رأى برهان ربه فلم يهمّ بها). بالإضافة إلى ما سبق فإن هناك بعض المفسرين الذين يؤكدون أن المعنى المتضمن في الآية الكريمة هو أن زوجة العزيز همّت بالفعل بارتكاب المعصية أما يوسف (عليه السلام) فقد همّ أن يضربها. وهكذا نجد أنه بينما يتفق المفسرون في الحالتين الثانية والثالثة على أن كلمة "همّ" التي أثارت الجدل تعني "أوشك" إلا أنهم اختلفوا على معنى الجزء المحذوف بعدها والمتروك للقارئ تقديره.^{lxix}

أما سيد قطب — وهو أحد النقات في تفسير معاني كتاب الله الكريم — فرغم أنه يتفق مع معظم المفسرين في أن يوسف (عليه السلام)

معصوم بلا شك — شأنه شأن سائر الأنبياء — من الفاحشة والزيلة إلا أنه يرى قابليته (عليه السلام) للتعرض للحظات من الضعف الذي تتصف به الطبيعة البشرية، ولولا أن لجأ إلى موله العلي القدير لكان من الممكن أن يستجيب فى لحظة ضعف لميل النفس البشرية. ويستطرد سيد قطب موضحاً أنه لو لم يشعر يوسف (عليه السلام) بضعف النفس البشرية لما تضرع إلى المولى جل شأنه ليصرف عنه كيد زليخة والنسوة الأخريات حتى لا يضعف أمام إغرائهن المستمر: ^{box}

قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ

وَأَكُنَ مِنَ الْجَاهِلِينَ. * ^{boxii} (الآية ٣٣ سورة يوسف)

هذا التفسير يتلاءم بشكل واضح مع التصوير الواقعي لشخصية يوسف (عليه السلام) قبل النبوة كواحد من صفوة البشر. فهو إنسان خصه الله تعالى بصفات الأنبياء ونشأ فى بيت النبوة الطاهر ومع هذا فهو بشر وليس كالملائكة الذين لا يستطيعون أن يعصوا الله ما أمرهم، بل هو ابن من أبناء آدم (عليه السلام) له إرادة حرة كسائر البشر، وقابل لأن يعتريه ما يعتريهم من ضعف رغم ما يتميز به من سمو الروحاني، وقوة العزيمة التي يتسم بها عباد الله المصطفين الأخيار.

وكما أسلفنا فإن التصرف الأخرق للنسوة قد أدى فى النهاية إلى سجن يوسف (عليه السلام) رغم ثبوت براءته ثبوتاً يقينياً. ومع هذا يرى القرطبي أن سجنه (عليه السلام) دونما ذنب ارتكبه قد نجم — إلى حد ما — عن هفوة لفظية فى العبارات التي تضرع بها إلى الله تعالى. فخشية أن يضعف

أمام إغواء النسوة توسل إلى المولى جل شأنه بقوله "رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ" فلو أنه (عليه السلام) — كما يقول القرطبي — سأل الله سبحانه وتعالى بثقة تامة أن يخلصه من أذاهن دون نكره لأفضلية السجن لديه على ما يدعونه إليه، لأنقذه الله جل شأنه، ولما ابتلاه بمحنة السجن.^{lxxii}

أما سلوك يوسف (عليه السلام) كسجين فيذكرنا بالمثل الأعلى الذي قدمه أرسطو للشخصيات النموذجية في الأدب الكلاسيكي الراقى^{lxxiii}، فتصرفات يوسف عليه السلام كلها تتطابق تماماً مع شخصيته التي عهدناها منذ بداية القصة وحتى نهايتها. فهو شخص يتسم بالاستقامة وثبات الشخصية وكمال الخلق، وطهارة الروح، وقوة التمييز، وصواب الرأي. والأهم من ذلك كله تواضعه التام لخالقه سبحانه وتعالى. فهو ينسب كل الصفات العظيمة التي اتسمت بها شخصيته (عليه السلام) لخالقه العليم الكريم الذي أنعم عليه بالعلم والهدى. فليس هناك ما يدعو إلى العجب في أن ينال شخص يملك مثل هذه الخصال الحميدة محبة وثقة زملائه من المساجين رغم اختلاف دياناتهم وعقائدهم.^{lxxiv}

لقد استسلم للمحنة الجديدة بقلب هادئ ونفس راضية. فقد كان على يقين تام بأن قضاء الله العليم الحكيم بسجنه لا بد أن يكون وراءه حكمة خفية. لذلك فهو لم يهدر وقته فيما لا جدوى منه كندب حظه العاثر، أو الشكوى من ظلم الحكام الطغاة الذين لا تعرف قلوبهم الرحمة، والذين يودعون يوماً أعداداً لا حصر لها من الأبرياء في السجون إشباعاً لنزواتهم الشخصية، وإرضاءً لنفوسهم التي جبلت على حب الذات، واتباع الهوى. كما أنه (عليه السلام) لم ينشغل بشجب وإدانة سلوكهم المنافي لأي ملة أو دين، بل اغتتم الفرصة السانحة، وانشغل بمحاولة التأثير على زملائه من السجناء

الترايط التكاملى بين الحكمة والشخوص فى قصة

يوسف (عليه السلام) فى القرآن الكريم

فكر وإبداع

ترجمة إلى اللغة العربية

بمس فطرتهم السليمة، فطرة الله التي فطر الناس عليها. وذلك لمساعدتهم على الخروج من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد. فتوجه إليهم بكل ما تعلمه من خلال تجربته الشخصية، ومن التاريخ المشرف لأجداده أنبياء الله تعالى (عليهم السلام)، وخاطب وجدانهم بالحكمة والرفق مبيناً لهم بالحجة الدامغة أن السبيل الوحيد لنيل السعادة الحقيقية، والنجاة من المهالك هو عبادة الله الواحد القهار، واتباع هديه سبحانه وتعالى:

يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ * مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ

إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ. * lxxv

(الآيات ٣٩، ٤٠، سورة يوسف)

و يؤكد هذا الموقف السمو الروحاني والخلقي ليوسف (عليه السلام)، السمو الذي اتضح في مواقف عدة في القصة لاسيما موقفه مع زوجة العزيز. إن هذا السمو يجعله مصدراً للنور والهدى حيثما وُجد. وهذا لا يتنافى مع طبيعته البشرية و ما فيها من جوانب ضعف لم يستطع بعد التغلب عليها تماماً. فعندما ظهر من تفسيره لرؤيا ساقى الملك أن هذه الرؤيا تدل على نجاة الساقى من السجن، وفي غمرة ابتهاج الساقى ببشرى الخير، طلب منه يوسف (عليه السلام) أن يبلغ أمره للملك أملاً في أن يؤدي ذلك إلى ظهور الحقيقة، وإطلاق سراحه من السجن الذي دخله ظلماً وجوراً. فلقد أنساه الشيطان الدرس الذي علمه إياه الخالق سبحانه وتعالى ألا وهو أن

للجوء يكون خالصاً لله وحده، أي أن توكل العبد على الله تعالى يكون توكلاً تاماً، توكلاً مقترناً بالإيمان و اليقين بأنه سبحانه هو وحده القادر على جلب النفع، ودفع الضرر. ويرى القرطبي أن طلب يوسف (عليه السلام) العون من الملك، ونسيانه ذكر الله هو السبب في إطالة مدة سجنه.^{lxxvi}

يذكرنا هذا التفسير بما أسماه كولين ويلسن — أثناء دراسته للأسلوب الديني الغامض لنيتشه — "بالمفهوم العظيم للرضا"^{lxxvii}، حيث أوضح في تلك الدراسة أن اللحظة المميزة في الاستبصار (حدة الإدراك) الذي نعم به نيتشه هي تلك اللحظة التي اكتشف فيها أن القيمة الحقيقية للحياة، والتي تجعلها تستحق أن نحياها، تكمن في الإيمان بأن أعظم عمل يمكن أن يقوم به الإنسان هو أن يكون شاكراً حامداً في أوقات الشدة والبلاء، وفي مواجهة الأحداث التي عادة ما تولد لدى المرء الضغينة والغضب،^{lxxviii} أي أن نكون راضين شاكرين مهما كانت صنوف البلايا والابتلاءات الشديدة التي على الإنسان أن يواجهها.^{lxxix} ومن الجدير بالذكر أن يوسف النقي النقي (عليه السلام) قد وصل إلى مرحلة الرضا التام بالمصير الذي قدره الله تعالى له عدة قرون قبل ظهور ما أسماه كولين ويلسن "الاكتشاف العظيم" لنيتشه. ولما توصل يوسف (عليه السلام) إلى تلك الدرجة من اليقين التام، وعلم أن قدره لن تستطيع إرادة البشر — مهما أوتوا من قوة ونفوذ — تغييره، فقد رفض الخروج من السجن عندما حانت الفرصة لذلك — على الرغم من أن الخلاص منه كان الأمنية التي كانت تراوده من قبل — رفض (عليه السلام) بحزم التخلص من الأسر حتى يتأكد من أن تحريره ليس منة أو منحة من بشر وإنما هو فرج من الله تعالى، أو كما أسماه ماثيو أرنولد في دراسته عن المفهوم الحقيقي للحضارة: "تحقق إرادة الرب".^{lxxx}

الترايط التكاملى بين الحبكة والشخوص فى قصة

يوسف (عليه السلام) فى القرآن الكريم

فكر وإبداع

ترجمة إلى اللغة العربية

ويكتمل تطور شخصية يوسف (عليه السلام) مع نهاية قصته مع الملك. فبعد أن انتهى الملك من إعادة التحقيق في القضية، ظهر جلياً ما يتحلى به يوسف (عليه السلام) من كمال خلقي، وسمو روحاني وحكمة وصفاء ذهني. و أضحى يوسف (عليه السلام) مستعداً لأداء المهمة الدينية والاجتماعية العظيمة التي أعده الخالق جل شأنه لها، و كان من الطبيعي أن يضع الملك ثقته الكاملة في الشخص الذي أثبت أنه مؤهل لإنقاذ الإمبراطورية من الكارثة الوشيكة، والتي تهدد بتدميرها. و بهذا ينتهي دور الملك في القصة فيختفي تماماً بعد أن يُولي يوسف (عليه السلام) السلطة الكاملة التي تمكنه من البدء في عملية الإنقاذ. ثم تبدأ الشخصيات الأخرى في الانسحاب بالتدرج الواحدة تلو الأخرى. فتبرز شخصية يوسف (عليه السلام) وحدها على مسرح الأحداث، وتسلط كل الأضواء عليها. عندئذ تأتي الكلمات الحاسمة في الآيات الكريمة معلنة تحوله (عليه السلام) إلى مركز السلطة العليا، حيث أصبح صاحب القرار المتحكم في رقاب الخلق، ومؤكدة مرة أخرى أن حدوث هذه المعجزة المتمثلة في انقلاب حظ المرء من النقيض إلى النقيض، أي من أقصى حالات العبودية والذل والهوان إلى أقصى درجات الحرية والعز والسلطان، ما هو إلا حسن ثواب العزيز الرحيم لعباده المحسنين المخلصين جزاء على دوام التحلي بالفضيلة والاستقامة، ومكارم الأخلاق:

"وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ

وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ. * (الآية ٥٦ سورة يوسف)

إن النص القرآني لا يتضمن تفاصيل حول سلوك يوسف (عليه السلام) بعد توليه المنصب الجديد، إلا أنه لا يصعب على القارئ تصور مدى الحكمة وحسن التمييز اللذين اتسمت بهما تصرفاته. فلقد وقفنا عدة مرات في القصة على سلوكياته التي عكست ما يتميز به من حكمة، وعلم وإخلاص وسمو خلق. وبمرور الزمن انتهت سنوات الرخاء والازدهار والوفرة لتعقبها سنوات المجاعة التي كانت رؤيا الملك بمثابة تحذير من وقوعها. لم تتضمن القصة إشارة إلى بداية المجاعة أو كيفية ظهورها، وإنما تمت إحاطة القراء علماً بوقوعها من خلال المشهد الذي ربط بطريقة رائعة بين الماضي والحاضر والمستقبل، والذي يظهر فيه إخوة يوسف (عليه السلام) قادمين من كنعان بحثاً عن الطعام لقومهم.

إن هذا المشهد القصير لنو مغزى عظيم، حيث يؤكد وقوع الكارثة بالفعل، وتشعب الآثار المدمرة للمجاعة لتشمل جميع الدول المجاورة. وعلاوة على ذلك فإن المشهد يقدم لمحة عن كيفية استخدام يوسف (عليه السلام) لنفوذ منصبه في تقديم مساعدات للتخفيف من معاناة المتضررين من المجاعة ليس فقط في بلاده، بل ولكل اللاجئين إليه من البلدان الأخرى طلباً للعون. إضافة إلى ذلك فإن هذا المشهد يقود الأحداث بسلاسة إلى النقطة التي يتضح فيما بعد أنها بداية لنهاية القصة. وهكذا يمكن القول بأن ذلك المشهد الموجز المكون من لمسات سريعة بارعة يؤدي مهام عدة. فهو يدفع بفاعلية عجلة الأحداث إلى الأمام، ويثبت التصوير الواقعي للشخصيات، كما أنه يربط أجزاء الحدث بعضها ببعض، فيسهم إسهاماً واضحاً في تعزيز وحدة وتماسك البناء الفني للقصة.

بدأ المشهد بتعرف يوسف (عليه السلام) على إخوته بمجرد رؤيته لهم أثناء دخولهم عليه. أما عدم تعرفهم عليه فلا يمكن إرجاعه إلا إلى عمى بصائرهم، إذ إن المتوقع أن يحدث العكس، فلا يمكن نسيان شخص بمثل حسن يوسف (عليه السلام) وبهاء طلعتة بسهولة. ولقد كان من الطبيعي أن يثير ظهورهم مشاعر متضاربة في نفس يوسف (عليه السلام)، فاختلطت مشاعر الحزن والأسى بمشاعر الشوق والحنين لرؤية أبيه (عليه السلام) وأخيه الأصغر بعد أن عانى من مرارة الحرمان منهما لمدة طويلة. ومن ثم يبدأ يوسف (عليه السلام) — بوحي من ربه سبحانه وتعالى — في إعداد خطة تمكنه من الاجتماع بأخيه الأصغر كخطوة أولى في سبيل الوصول إلى تحقيق لم شمل العائلة مرة أخرى والذي كان الله سبحانه قد قدره لها.

تمكن يوسف (عليه السلام)، بعون الله تعالى وتوفيقه، من التخطيط ببراعة لاحتجاز أخيه الأصغر بنيامين معه. وحيث إن الخطة التي استخدمها لبلوغ هذا الهدف قد تبدو في ظاهرها إدانة ليوسف (عليه السلام) لاتهامه شخصاً بريئاً بالسرقه من أجل تحقيق مبتغاه (مما يتناقض تماماً مع ما عرفناه عن نبل شخصيته من خلال أحداث القصة) فإن الآية الكريمة نفسها التي تصور تنفيذ تلك الخطة تعلن قبل نهايتها أنها لم تكن من تدبير يوسف (عليه السلام) وإنما كانت من قبل العليم الحكيم الذي يفعل ما يريد، فيشمل بعنايته الإلهية من يشاء، ويؤيد بنصره عباده المحسنين:

"فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ، كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ، نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ." * xxxii (الآية ٧٦ سورة يوسف)

و بعد وقوع سلسلة معينة من الأحداث التي كان لابد منها لدعم التسلسل المنطقي للقصة، كشف يوسف (عليه السلام) عن هويته لإخوته . لقد أصبح في موقع القوة والمنعة، يتمتع بنصر الله سبحانه وتعالى الذي أيده بمعجزة قلبت الأدوار فأضحى الجلادون في قبضة من كان بالأمس ضحيّتهم. ويؤكد هذا الموقف ما نعرفه عن شخصية يوسف (عليه السلام) وقوة صلته بخالقه جل شأنه، فهو لم ينس في غمرة ابتهاجه بالنصر العزيز أن ينسب الفضل إلى ذي الفضل العظيم، الرحمن الرحيم الذي لا يضع أجر الصالحين والصابرين :

”قَالُوا أَيْنَكُ لَأَنْتَ يُوسُفُ ، قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقُ

وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ. * ^{boxiii} (الآية ٩٠

سورة يوسف)

لقد زالت الغشاوة الآن عن أعين الإخوة الذين أراد الله لهم الهداية بأن منحهم القدرة على رؤية الأشياء على حقيقتها، القدرة على رؤية العدل المطلق فيما آل إليه مصيرهم من ذل وهوان، وفي ذات الوقت ما ظفر به أخوهم من نصر ورفعة بعد طول ظلم واضطهاد. ولما تجلت الحقيقة أمام أعينهم غمرهم الشعور بالندم والخجل:

”قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ. * ^{boxiv}

(الآية ٩١ سورة يوسف)

وتثبت ردة فعل يوسف (عليه السلام) ما عرفناه عن شخصيته المتميزة بالتسامح والشهامة والرحمة. فلم يكتف بالعفو عن تسببوا له في المحن التي عانى منها طويلاً، لم يكتف بمحاولة إيجاد عذر لهم لارتكاب جريمتهم

الشنعاء بعزوها إلى جهالتهم عندئذ،^{lxxxv} بل وصلت سماحة نفسه إلى عدم لومهم أو مؤاخذتهم أو تأنيبهم في تلك اللحظات التي أصلح الله تعالى فيها ذات بينهم، بل وتوجه بنفسه إلى الخالق جل شأنه متضرعاً إليه أن يغفر لهم، مطمئناً إياهم، و مذكراً لهم بأن رحمته سبحانه وسعت كل شيء. فهو يرحم عباده، ويعفو عن ذنوبهم لعلمه سبحانه وتعالى بضعفهم:

”قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ.“^{lxxxvi} *

(الآية ٩٢ سورة يوسف)

وهكذا فقد تطورت شخصيات الإخوة بشكل منطقي وواقعي، حيث خرجوا — بفضل الله تعالى — من الظلمات إلى النور، وتعلموا من التجربة التي مروا بها كيف يتخلصون من مشاعر الغيرة والحقد والحسد، تلك المشاعر التي كانت السبب الأساسي وراء قسوتهم، وأفعالهم المشينة في الماضي. كما اكتملت في ذات الوقت تربية الله العليم الحكيم ليوسف (عليه السلام) الذي أصبح مستعداً لأداء المهمة السامية التي اجتباها المولى جل شأنه لها، وهي أن يكون نبياً من أنبياء الله الصالحين. فلم يعد واجبه مقتصرًا على التخفيف من معاناة المحرومين، وسد رمق الذين يتضورون جوعاً، بل أصبحت مهمته الأساسية مساعدة المكروبين والمحزونين على التمتع بلذة الإيمان، والأخذ بيد الضالين إلى طريق الهدى والنور.

وفي المشهد الختامي تصل الأحداث إلى أوجها، حيث تصبح رؤيا يوسف (عليه السلام) حقيقة واقعة، ويتحقق الهدف الديني للقصة، ونطمئن نفس القارئ بانتصار يوسف (عليه السلام)، انتصار الحق متمثلاً في انتصار العبد الصالح الذي لم ينس للحظة واحدة دوره كداعية لدين الله الحق. وحتى

في نزوة انتصاره الذي جاء كنتيجة منطقية لسلسلة من الأحداث التي تدرجت بسلاسة لتصل إلى النهاية الرائعة للقصة، فإن يوسف (عليه السلام) النبي المجتبي لم يلتفت للنعم الدنيوية المبهرة التي أسبغها الله سبحانه وتعالى عليه، بل غمره شعور طاغ بابتهاج روحاني ملأ نفسه بالشكر والامتنان لخالقه الكريم الرحيم الوهاب. وهكذا نراه في ختام القصة ليس فرحاً بهذا النصر المبين وإنما نجده متضرعاً إلى الله سبحانه في صورة من أروع صور التضرع والخضوع، يثني عليه سبحانه ويحمده على نعمه العظيمة التي لا تُعد ولا تحصى، ويتوسل إليه في تلك اللحظات الرائعة من لم الشمل والقرب من الله سبحانه وتعالى أن يرزقه حسن الخاتمة وأن يدخله برحمته في عباده الصالحين:

"وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبْتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ *

رَبُّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَالْحَقَنِي بِالصَّالِحِينَ. * (xxvii)

(الآيتان ١٠٠، ١٠١) (سورة يوسف)

جاءت هذه الخاتمة كنتويج رائع للترابط التكاملي لعناصر القصة التي وصلت إلى النهاية المقدرة لها من قبل الله سبحانه وتعالى مسبب الأسباب.

الترايط التكاملى بين الحكبة والشخوص فى قصة

يوسف (عليه السلام) فى القرآن الكريم

فكر وإبداع

ترجمة إلى اللغة العربية

فلو لم ينتم يوسف (عليه السلام) إلى أسرته وبيئته التي عاش فيها لكانت شخصيته مختلفة، ولما كان ليحظى بحب والده، وإيثاره له على بقية إخوته، وفي هذه الحالة لما كانت الغيرة لتشتعل في نفوس الإخوة الأكبر سناً، وتنفهم للكيد له بهدف التخلص منه ولأدى ذلك إلى أن تتخذ أحداث القصة مساراً مختلفاً. ومن جانب آخر لو كان الإخوة أكثر تفهماً للمشاعر الطبيعية التي دفعت والدهم إلى إظهار حنوه الشديد على أخيه الأصغر، الذي حرم من عطف أمه منذ الصغر، لما لجأوا لتخطيط جريمة لإبعاده عن حياتهم. و لو لم يكن أولئك الإخوة قد نشأوا في بيئة طاهرة، في بيت النبوة، لما حاولوا مقاومة الدافع الذي سيطر عليهم في بداية خطتهم، حيث خطرت ببالهم الفكرة التي استحوذت على قابيل من قبل ودفعته لقتل أخيه. ولو حدث هذا لما كانت هذه القصة، ولانتهت قصة يوسف (عليه السلام) نهاية مأساوية سريعة.

وتستمر الفرضيات في ذهن القارئ. فلو لم يلق يوسف (عليه السلام) في البئر لما تعرف على زوجة العزيز. ولو لم يكن بمثل ما كان عليه من الحسن والبهاء فمن الممكن أنها لم تكن لتتأثر عاطفياً بوجوده في حياتها. ولو لم تكن شخصيتها قد تأثرت سلباً بالانهيار الأخلاقي الذي اتسمت به البيئة التي نشأت فيها لما أعلنت بجرأة وتبجح عن عاطفتها ورغباتها المخزية. ولو أن يوسف (عليه السلام) قد ضعف، واستجاب للإغراء الشديد من قبل سيدته الجميلة — حاش لله — لما دخل السجن، ولو لم يدخل السجن لما عرف الملك مدى براعته في تفسير الأحلام، ولو أن الملك لم ير الرؤيا المزعجة لما تسنى له الاطلاع على قضية يوسف (عليه السلام) ولو وقعت أحداث القصة في عصر آخر ربما لما كانت الرؤيا بذات الأهمية بالنسبة

للملك، ولما تحمس إلى تلك الدرجة لمعرفة تأويلها. هذه السلسلة من الافتراضات يمكن أن تستمر إلى ما لا نهاية من بداية القصة وحتى نهايتها ملقية الضوء على الترابط التكاملي الرائع — والذي لا مثيل له — بين عناصر القصة، الترابط الذي يذكرنا مرة أخرى بما أشار إليه هنري جيمس بهذا الصدد، الترابط التكاملي بين جميع عناصر القصة الممتازة، الترابط الذي لا انفصام له بين

الناس مع أفعالهم، والأفعال مع الفاعلين، بين الحدث والعناصر الفنية، بين الوسط والحدث، بين الشخصيات والأحداث والوسط مع الموضوع، أي ترابط كافة عناصر العمل المسرحي مع بعضها البعض.^{xxviii}

الترباط التكاملى بين الحكبة والشخوص فى قصة
يوسف (عليه السلام) فى القرآن الكريم
فكر وإبداع
ترجمة إلى اللغة العربية

NOTES:

المصادر والمراجع

ⁱ Aristotle, *On the Art of Poetry*, trans. Gilbert Murray (London: Oxford U.P., 1976), p. 37

(فن الشعر)/ أرسطو/ ترجمة جليبرت موراي/ ص ٣٧

ⁱⁱ W. J. Bate, *Criticism: The Major Texts* (New York: Harcourt Brace Jovanovich, 1970), p. 126.

(النقد الأنبي: النصوص الأساسية)/ و. ج. بيت/ ص. ١٢٦

ⁱⁱⁱ E. M. Forster, *Aspects of the Novel* (London: Edward Arnold, 1974), pp.58-59.

(جوانب من فن الرواية)/ ا.م. فورستر/ ص. ٥٨-٥٩

^{iv} Bate, ed. cit., p. 126.

بيت/ مرجع سابق/ ص ١٢٦

^v Ibid., p. 271.

نفسه/ ص. ٢٧١

^{vi} Miriam Allot, *Novelists on the Novel* (London: Routledge & Kegan Paul, 1975), p.290.

(آراء الروائيين عن فن الرواية)/ مريم ألوت/ ص ٢٩٠

^{vii} Leon Edel, ed. "Introduction", *The Future of the Novel*. By Henry James. (New York: Vintage Books, 1956), pp. x-xi.

(مستقبل الرواية)/ هنري جيمس

^{viii} Leon Edel, ed. "Introduction", *The Future of the Novel*. By Henry James. (New York: Vintage Books, 1956), pp. x-xi.

نفسه/ ص ١١-١٠ (من المقدمة)

^{ix} Henry James, "Preface", *The Portrait of a Lady* (London: Oxford University Press, 1954), p. xvii.

(صورة سيدة)/ هنري جيمس

^x Henry James, "Turgenev", *The Portable Henry James*. Ed. M. D. Zabel (Harmondsworth: Penguin, 1978), p.456.

"تورجنيف"، (أهم أعمال هنري جيمس)/ ص ٤٥٦

^{xi} Bate, ed. cit., p. 142.

بيت/ مرجع سابق/ ص ١٤٢

^{xii} Ibid., p. 142

نفسه / ص ١٤٢

^{xiii} Ibid., p. 142.

نفسه / ص ١٤٢

^{xiv} Muhammad Ali Abu-Al-Abbas, ed. *Yusuf bayna Makr Al-Ikhwah wa Kāyd Al-Nisswah* (Cairo: Maktabat al-Qur'ān, 1987), p.24.

(يوسف بين مكر الإخوة وكيد النسوة) / محمد علي أبو العباس / ص ٢٤.

^{xv} Muhammad Mutwally Al-Sha'arāwy, *Hatha Huwa Al-Islam* (Cairo: Maktabat Al-Turath Al-Islāmi, 1990), pp.135-37.

(هذا هو الإسلام) / محمد متولي الشعراوي / ص ١٣٥-٣٧.

^{xvi} The translation of the meanings of the Ayas into English throughout this paper will be taken from: The Presidency of Islamic Researches, Ifta, Call and Guidance, *The Holy Qur'ān: English Translation of the Meanings and Commentary* (Al-Madinah Al-Munawwarah: The Custodian of the Two Holy Mosques Complex for the Printing of the Holy Qur'ān, n.d.), p. 627.

(The translation of the meanings of any Qur'ānic verses in this paper throughout will be taken from this edition, hereafter referred to as *Presidency Translation*. However, it must be noted that, although this translation is by far the best I have come across, it does not at all convey the music, the cadence, the melody nor yet the delicate intimations and profound implications suggested by the matchless Divine text).

(The Presidency of Islamic Researches, Ifta, Call and Guidance, *The Holy Qur'ān: English Translation of the Meanings and Commentary* (Al-Madinah Al-Munawwarah: The Custodian of the Two Holy Mosques Complex for the Printing of the Holy Qur'ān, n.d.),

ترجمة معاني جميع الآيات الواردة في هذا البحث مأخوذة من (ترجمة معاني القرآن الكريم مع تعليقات باللغة الإنجليزية) / رئاسة الأبحاث الإسلامية والإفتاء والدعوة والإرشاد / مجمع الملك فهد لطباعة القرآن الكريم. وعلى الرغم من أن هذه الترجمة هي أفضل التراجم التي اطلعت عليها الباحثة إلا أنها تعكس مدى عجز البشر عن نقل معاني القرآن الكريم والتعبير، عما تتميز به من فصاحة وبيان.

^{xvii} Abu Al-Abbas, ed. cit., p.88.

أبو العباس / مرجع سابق / ص ٨٨.

^{xviii} Ahmad Bahgatt, *Anbia'ā Allah* (Cairo: Dar Al-Rayyan Lel Turath, 1987), p. 135.

/ أحمد بهجت / ص ١٣٥

(أنبياء الله)

^{xix} *Presidency Translation*, p.662.

ترجمة الرئاسة / مرجع سابق / ص ٦٦٢.

^{xx} Forster, ed. cit., p. 63.

فورستر/ مرجع سابق/ ص ٦٣

^{xxi} See Forster, ed. cit., p.63.

نفسه/ ص ٦٣.

^{xxii} *Presidency Translation*, pp. 625-26.

ترجمة الرئاسة/ مرجع

سابق/ ص ٢٦ - ٦٦٢.

^{xxiii} *Presidency Translation*, p. 625.

ترجمة الرئاسة/ مرجع سابق/

ص ٢٥٢.

^{xxiv} Al-Sha'arawy, ed. cit., pp. 136-37.

الشعراوي/

مرجع سابق/ ص ١٣٦-٣٧.

^{xxv} Bahgatt, ed. cit., p.119.

بهجت/

مرجع سابق/ ص ١١٩

^{xxvi} Previously asked by the Aziz about the penalty to be imposed on anyone of them if it is proved that he has stolen the valuable cup, and absolutely confident of their innocence of committing such a base crime, they have unhesitatingly suggested that he should be held slave to atone not only for his theft but for his flagrant abuse of hospitality. (See verses 73, 74, 75).

عندما سألهم العزيز عن رأيهم حيال العقوبة التي يستحقها من تثبت إدانته بارتكاب جريمة سرقة صواع الملك، أجابوا بلا تردد لكونهم متأكدين من براءتهم— أن مرتكب هذه الجريمة لابد أن يحرم من حياة الأحرار، ليس فقط لأنه سارق بل أيضاً لأنه قابل إكرام العزيز له بالجحود .

^{xxvii} *Presidency Translation*, p. 655.

ترجمة الرئاسة/ مرجع سابق/

ص ٦٥٥.

^{xxviii} Ibid., pp. 658-59

نفسه/ ٦٥٨-٥٩

^{xxix} Ibid., p. 661.

نفسه/ ص ٦٦١.

^{xxx} Ibid., p. 663.

نفسه/

ص ٦٦٣.

^{xxxi} Hazell, ed.cit., p. 87.

/ ص

هازل/ مرجع سابق ٨٧

^{xxxii} *Presidency Translation*, pp. 632-33.

ترجمة الرئاسة ص ٦٣٢-٣٣

^{xxxiii} This elaborate method of profound inarticulate implications and tacit expression is expounded in more detail in a previous essay by the same writer of the present one entitled " Aesthetic Elements in

the Story of Yusuf in the Holy Qur'an," published in *Al'Aqeeq Quarterly*, Jeddah: Al-Madinah Al-Munawwarah Literary Club, January, February, March, 2002, vol. 21.

لقد تم تناول الطريقة القرآنية الفريدة التي تقدم من خلالها المعاني العميقة والتعبير الضمنية بالشرح المفصل في مقال سابق للباحثة عنوانه "العناصر الجمالية في قصة يوسف في القرآن الكريم"، نشر في مجلة العقيق/ مجلد ٢١/ عام ٢٠٠٢م.

^{xxxiv} See Abdullah Yusuf Ali, *The Holy Qur'an: Text, Translation and Commentary*. 2 vols. (Beirut: Dar-Al-Arabia, 1968), vol.1, p.556.

(القرآن الكريم : آياته وترجمة معانيه) / عبدالله يوسف علي/ ص ٥٥٦.

^{xxxv} See Abi Abdullah Al-Ansary Al-Qortoby, *Al-Jāmē' Li Ahkām Al-Qur'an*. 20 vols. (Damascus: Muāssasat Manahel A-Irfān, 1966), vol.9, p.172.

It is worthy of note that in his interpretation of this story, Al-Qortoby tells us that Zulaikha's false accusation of Yusuf (pbuh) to exculpate herself from guilt, provides proof that she did not really love him, for a lover is always ready to sacrifice himself for the person he loves. Yet, following Al-Qortoby's own logic, Zulaikha's later voluntary defilement of her own reputation to clear that of Yusuf (pbuh) is an irrefutable proof of her true love, especially if we take into consideration the blind passion which hurt female dignity and rejected love may temporarily excite in the heart of a woman of Zulaikha's temperament.

تجدر الإشارة إلى أن القرطبي في تفسيره لسورة يوسف يؤكد أن إتهام زليخة الكاذب ليوسف (عليه السلام)، لتبرئة نفسها من الإثم ماهو إلا دليل على أن حبها له لم يكن صادقاً فالمحب مستعد دائماً للتضحية بنفسه فداء لمن يحب. ومع هذا فإن هذا الاستدلال نفسه يمكن استخدامه لإثبات حبها له (عليه السلام). فاعترافها فيما بعد، طواعية، بإثمها من أجل تبرئة يوسف (عليه السلام) -- رغم إدراكها لما سيصيبها بسبب هذا الاعتراف من خزي و عار -- لهو خير دليل على صدق محبتها له، خاصة إذا أخذنا في الاعتبار ردة الفعل المتوقعة من المرأة عندما تشعر بجرح كبريائها و كرامتها نتيجة صد محبوبها لها من غضب أعمى قد يؤدي بها إلى أي سلوك متهور.

^{xxxvi} See Sayyed Qotb *Fī Dhilal Al-Qur'an* 6 vols (Beirut: Dar Al-Shuruq, 1986) vol.4, p.1955. (في ضلال القرآن) / سيد قطب/ ص. ١٩٥.

In his study of Yusuf's story, Qotb displays the corrupt social environment of Zulaikha's aristocratic class, which has a detrimental effect on the development of her personality.

تعرض سيد قطب بالشرح والتفصيل ضمن خلال دراسته لقصة يوسف --- للبيئة الاجتماعية الفاسدة في الطبقة الاستقرائية التي نشأت فيها زليخة، وما كان لتلك البيئة من أثر ضار على تكوين شخصيتها.

^{xxxvii} Ibid., p. 1962.. نفسه / ص. ١٩٦٢.

Qotb here refers to people's great concern with dreams during this historical period of time and their deep belief in their supernatural power; for which reason, typically.

Yusuf's Divine miracle, as a prophet, is related to his perfect acquaintance with this metaphysical field of knowledge.

يشير سيد قطب هنا إلى اهتمام الناس بالأحلام فى تلك الحقبة من الزمن، واعتقادهم فى تأثيرها الخارق على حياة الإنسان، موضحاً الارتباط الوثيق بين الاهتمام بالأحلام أن ذاك ومعجزة يوسف (عليه السلام) المتمثلة فى إلمامه التام بعلم تفسير الأحلام وهو علم من علوم الغيبيات "اللدنية".

xxxviii *Presidency Translation*, p. 644.

ترجمة

الرئاسة/ص ٦٤٤.

xxxix Ibid., pp. 644-45.

It is noteworthy that some interpreters of the Holy Qur'an think that verses 52-53 are spoken by Yusuf (pbuh); however, for the interpretation that these words are the continuation of the speech of the Aziz's wife, there are both reliable authority and good reason. First, it is preferred by Ibn Katheer and Al-Qortoby, and second, it is more appropriate to the contextual meaning. Apart from being more in keeping with the logical development of the character of Zulaikha, this interpretation is confirmed by the fact that Yusuf (pbuh) has not yet appeared before the king, who in response to Yusuf's message has immediately begun public proceedings with the ladies in question. And it is only after Yusuf's innocence, purity and trustworthiness are proved by the investigation, and confirmed by the courageous confession of Zulaikha, that he is released from prison and ordered to come in the presence of the king, as is stated in verse 54:

مما تجدر الإشارة إليه هو أن بعض مفسري معاني القرآن الكريم يعتقدون أن الكلمات الواردة فى الآيتين رقم (٥٣، ٥٢) هي كلمات نطق بها يوسف (عليه السلام). إلا أن رأي المفسرين الذين يرون أن هذه الكلمات هي جزء من حديث زوجة العزيز يؤيده دليل دامغ وسبب وجيه. هذا التفسير -الذي يحبذ كل من ابن كثير والقرطبي- أكثر ملاءمة للمعنى العام للسياق، وللتطور المنطقي لشخصية زليخة. فضلاً عن ذلك فإنه التفسير الذي تؤكد حقيقة واقعة وهي عدم مثول يوسف (عليه السلام) آن ذاك أمام الملك. فلقد بادر الملك باستجواب النسوة استجابة للرسالة التي بعثها له يوسف (عليه السلام) الذي لم يخرج من السجن إلا بعد أن ثبتت براءته بالاعتراف الشجاع لزليخة فكان حضوره (عليه السلام) بناء على أوامر الملك كما ورد فى الآية رقم (٥٤).

"So the king said: "Bring him unto me; I will take him specially to serve about my own person.": *Presidency Translation*, p.645

^{xl} Zulaikha's last words demonstrate how under the influence of her love for Yusuf (pbuh) and her admiration of his moral and spiritual excellence, she is finally saved and has evidently come to adopt his religious faith. (See Bahgatt, ed. cit., p.141).

توضح كلمات زليخة فى المشهد الأخير أن إنقاذها، وخرجها من ظلمات الجهل إلى نور الإيمان كان بسبب صدق مشاعرها -الذي ظهر فى هذا المشهد- وشدة إعجابها بالسمو الروحي ليوسف (عليه السلام).

^{xli} Forster, ed. cit., p.61.

فورستر/مرجع سابق/ص. ٦١.

- ^{xlii} Ibid., p. 64. نفسه/ص ٦٤.
- ^{xliii} Ibid., p. 61. نفسه/ص ٦١.
- ^{xliv} Ibid., p. 61. نفسه/ص ٦١.
- ^{xlvi} Ibid., p. 105. نفسه/ص ١٠٥.
- ^{xlii} *Presidency Translation*, pp. 633-34. ترجمة الرئاسة/ ص ٦٣٣-٣٤.
- ^{xlvii} Ibid., p. 652. نفسه/ص ٦٥٢.
- ^{xlviii} Allot, ed. cit., p. 278. اللوت/ مرجع سابق/ ٢٧٨.
- ^{xlix} *Presidency Translation*, p. 630. ترجمة الرئاسة/ ص ٦٣٠.
- ¹ Ibid., p. 632. نفسه/ص ٦٣٢.
- ^{li} Ibid., p. 634. نفسه/ص ٦٣٤.
- ^{lii} Ibid., p. 634. نفسه/ص ٦٣٤.
- ^{liii} See Yusuf Ali, ed. cit., p.560. يوسف علي/ مرجع سابق/ ص ٥٦٠.
- ^{liv} *Presidency Translation*, p.635. ترجمة الرئاسة/ ص ٦٣٥.
- ^{lv} See Qotb, *ed. cit.*, p. 1955. قطب/
مرجع سابق/ص ١٩٥٥
- ^{lvi} *Presidency Translation*, pp.634-35. ترجمة
الرئاسة/ ص ٦٣٤-٣٥.
- ^{lvii} Ibid., pp. 635-36. نفسه/ص ٦٣٥-٣٦.
- ^{lviii} Hazell, ed. cit., p.43. هازل/مرجع سابق/ص ٤٣.
- ^{lix} Bahgatt, ed. cit., pp. 132-133. بهجت/ مرجع سابق/ص ١٣٢-١٣٣.
- ^{lx} *Presidency Translation*, p. 636. ترجمة الرئاسة/ ص ٦٣٦.
- ^{lxi} Ibid., p.637. نفسه/ص ٦٣٤.

الترايط التكاملى بين الحكمة والشخوص فى قصة
يوسف (عليه السلام) فى القرآن الكريم
فكر وإبداع
ترجمة إلى اللغة العربية

Forster, ed. cit., p. 61. فورستر/مرجع سابق/ص. ٦١. ^{lxi}

Presidency Translation, pp. 623-24. ترجمة الرئاسة/ ص ٦٢٣-٢٤. ^{lxiii}

Ibid., pp. 624-25. نفسه/ص ٦٢٤-٢٥. ^{lxiv}

Words in square brackets mine. الكلمات الموجودة بين أقواس مربعة هي كلمات الباحثة. ^{lxv}

Aristotle, ed. cit., pp. 50-51. أرسطو/ مرجع سابق/ ص ٥٠-٥١. ^{lxvi}

Presidency Translation, p. 631. ترجمة الرئاسة/ ص ٦٣١. ^{lxvii}

Ibid., p. 631. نفسه/ص ٦٣١. ^{lxviii}

Bahgatt, ed. cit., p. 127. بهجت/ مرجع سابق/ص-١٢٧. ^{lxix}

See Qotb, ed. cit., pp. 1954-55; 1981-82. قطب/ مرجع سابق/ص ١٩٥٤-٥٥. ^{lxx}

Presidency Translation, p. 636. ترجمة الرئاسة/ ص ٦٣٦. ^{lxxi}

Al-Qortoby, ed. cit., p. 184. القرطبي/مرجع سابق/ ص ١٨٤. ^{lxxii}

Aristotle, ed. cit., p. 56. أرسطو/ مرجع سابق/ ص ٥٦. ^{lxxiii}

See Al-Sha'ārāwy, ed. cit., pp. 40, 41, 42; Bahgatt, ed. cit., p. 135. الشعراوي/ مرجع سابق/ ص ٤٠، ٤١، ٤٢، وكذلك بهجت/ مرجع سابق/ ص ١٣٥. ^{lxxiv}

lxxv *Presidency Translation*, 639-40. ترجمة الرئاسة/ ص ٦٣٩-٤٠.

lxxvi Al-Qortoby, ed. cit., pp. 194-95. القرطبي/مرجع سابق/ ص ١٩٤-٩٥.

lxxvii Colin Wilson, *The Outsider* (London: Victor Gollancz Ltd., 1970), p.275.
كولين ويلسون/ ص ٢٧٥.
(اللامنتمي)

lxxviii Ibid., p. 133. نفسه/ص ١٣٣.

lxxix It must be noted here that although Nietzsche's well-known concept of "denoch preisen," "to praise in spite of," is perfectly conformable to the religious notion of the necessity of absolute resignation to the Will of God, many other particulars of his peculiar religious philosophy are altogether unacceptable to conventional religious thought.

ينبغي أن لا يغيب عن أذهاننا أنه على الرغم من أن مفهوم نيتشه للشكر في أوقات الشدة يتفق تماما مع المبدأ الديني الذي يحتم الاستسلام لإرادة الرب، فإن مفاهيمه الأخرى المتضمنة في فلسفته الدينية غير مقبولة على الإطلاق بالنسبة للفكر الديني المتعارف عليه.

lxxx Matthew Arnold, *Culture and Anarchy* (Cambridge: Cambridge University Press, 1988), p. 46.

ماثيو أرنولد/ ص

(الثقافة والفوضى) / ٤٦

lxxxi *Presidency Translation*, pp. 646-47. ترجمة الرئاسة/٦٤٦-٤٧.

lxxxii Ibid., pp. 654-55. نفسه/ص ٦٥٤-٥٥.

lxxxiii Ibid., pp. 660-61. نفسه/ص ٦٦٠-٦١.

lxxxiv Ibid., p. 661. نفسه/ص ٦٦١.

lxxxv See *Presidency Translation*, pp. 660; 664. ترجمة
الرئاسة/ ص ٦٦٤-٦٦٠.

In verse 89, Yusuf (pbuh) tells his brothers: "Know ye how ye dealt with Joseph and his brother, not knowing (what ye were doing)?" Later on, in his final address to his

الترايط التكاملى بين الحبكة والشخوص فى قصة

فكر وإبداع

يوسف (عليه السلام) فى القرآن الكريم

ترجمة إلى اللغة العربية

father, he modestly condones his brothers' wickedness and charitably imputes it to the evil prompting of Satan, who "had sown enmity between me and my brothers."

على الرغم من أن يوسف عليه السلام - فى الآية رقم (٨٩) - ذكر إخوته برفق بسلوكهم المخزي

وإساءاتهم له ولأخيه الأصغر، فإن خطابه الأخير الذي وجهه لوالده (عليهما السلام) يؤكد صفحه

الجميل عنهم بمحاولته إيجاد مبرر لفعلتهم الشنيعة، ألا وهو ضعفهم إزاء وسوسة الشيطان الذي

أوجد شعور العداء في نفوس الإخوة: "مِنْ بَعْدِ أَنْ تَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي".

^{lxxxvi} *Presidency Translation*, p.661.

ترجمة الرئاسة/ ص ٦٦١ .

⁸⁷ *Ibid.*, pp. 663-64.

نفسه/ص ٦٦٣-٦٤ .

^{lxxxviii} Henry James, *The House of Fiction*. Ed. Leon Edel. (London: Rupert Hart Davis, 1957), p.81.

(بيت النثر)/ هنري جيمس/ ص ٨١.

